

المدونة

قصة
ذي القرنين ويأجوج ومأجوج





د. رشيد الجراح

Certificate of Registration
CopyrightFrance

Copyright Registration Number: 9H2F1R2

CopyrightFrance.com. Website registered under number 2104 by the State Prosecutor of the High Court of Evreux (FRANCE) certifies having delivered the certificate of the original following registration

Name of the registrant: Rasheed Saleem Al-Jarrah

Title or URL of the registered document: https://www.dr-rasheed.com/

Description: Dr. Rasheed's blog documents his lifelong reflections on the Quran, offering linguistic and analytical insights without adhe ring to any specific sect. The goal is to officially archive and le gally protect his writing, ideas and stories presented in the blog.

Date / time of the registration: 15-02-2025 à 20:46

The submitted document has been time stamped by a RGS qualified Certification Authority and ETSI TS 102 023 certified.

Paris (date) 15-02-2025 - The publication manager G.E.E. :

Reminder : (code of the intellectual property, extracts) :

✔ **Point L.335-2.** All publishing of written documents, musical composition, drawing painting or any other totally or partly printed, engraved production regardless of the laws and regulations concerning author's property is a forgery and any forgery is an offence. In France, forgery of published work in France or abroad is punished by 3 years in prison and a 300.000 euros fine. Will be punished the same way selling export and import of counterfeit work.

✔ **Point L.335-3.** Is also considered a forgery offence all reproduction , representation or circulation by any mean, of piece of spiritual work by violating the author's rights, as they are set and regulated by law. Is also considered as a forgery offence the violation one of the owner of the software's rights.



3c14c5091f191db578780f4e846d7a176d3cb058592f3b129f067ba1aa063728

كلمة فريق عمل مدوّنة روح

الحمد لله الذي علّم الإنسان بالقلم، وخصّه بنعمة البيان، وجعل تدبّر كتابه العزيز سبيلًا للهداية.
أمّا بعد،

يمرّ الفكر الديني المعاصر بمنعطفٍ تاريخي يفرض إعادة تأسيس العلاقة مع النصّ المؤسِّس؛ فكثير من المفاهيم والمناهج قد ترسّخت عبر القرون حتى غدت في الوعي العام بمنزلة المسلّمات المطلقة. في خضمّ هذه الحاجة الملحة للمراجعة والتجديد، يأتي مشروع الأستاذ الدكتور رشيد سليم الجرّاح ليقدّم قراءةً مغايرة للقرآن الكريم، قراءةً لا تكتفي بحدود التفسير الموروث بل تتجاوزه نحو فهمٍ جديد يتأسّس على منهجٍ علميٍّ دقيق، يلامس روح النصّ بعمق ويقترب من منطق العقل والفطرة السليمة.

لعلّ في الاسم الذي يحمله الدكتور رشيد سليم الجرّاح إشارةً بالغة الدلالة؛ فهو بحقٍّ يُجري عمليةً جراحية للكلمة القرآنية. إنه يتعامل مع مفردات الوحي برُشدٍ متناهٍ، كأنّه يضعها تحت مجهر الفكر واللغة، فيُريك نسيجها العضوي، ويكشف عن أعصابها الصرفية وعروقها الدلالية، لتتجلّى بذلك أبعادها النفسية والمادية العميقة. هكذا تتحوّل الكلمة في مشروعه من مجرّد رمزٍ صوتي إلى كيانٍ حيٍّ نابضٍ بالمعنى، يحمل إمكانات التأويل التي تنتظر التحرير.

لقد كانت أبحاث الدكتور الجرّاح ومقالاته بمثابة أطروحات نوعية تميّزت بالعمق والجرأة الفكرية، فمثّلت دعوةً صريحةً لإعادة بناء علاقتنا التلقّائية بالوحي، لا على قاعدة التلقّي الجامد، بل على أساس الفهم المتدبّر والتحليل العلمي المحكم. وهي دعوةٌ ضرورية تُعيد إلى النصّ حيويته الجوهرية، وإلى الفكر الديني توازنه المنشود، وتُحيي مسؤولية الباحث في إعمال العقل وكسر حاجز السؤال الموقوف.

وانطلاقًا من قناعتنا الراسخة بأهمية هذا المشروع الريادي، وبضرورة حفظه وتوثيقه ليكون مرجعًا للباحثين والمهتمين، تضافرت جهود فريق المدوّنة. لقد قمنا بجمع هذه المقالات والدراسات المنشورة، ومن ثم تنظيمها وتصنيفها وتحريرها بعناية فائقة، لتصدر الآن في هذا العمل المتكامل الذي نضعه بكل تقدير بين يدي القارئ الكريم.

نحن نؤمن يقينًا بأنّ هذه الكتابات تمثّل إسهامًا محوريًا في مسار الفكر القرآني المعاصر، وأنها تفتح آفاقًا رحبة للتأمّل والمراجعة والتجديد، بما يليق بكتابٍ أنزله الله للعقل قبل التقليد، وللحياة قبل التاريخ.

إنّ هذا العمل ليس سوى نقطة انطلاق في مسارٍ نأمل أن يكون مستدامًا؛ وفاءً لصاحب هذا المشروع العلمي الرائد، وإيمانًا بما قدّمه من اجتهادٍ صادق ورؤيةٍ علمية مغايرة تستحقّ كل التقدير والاحتفاء.

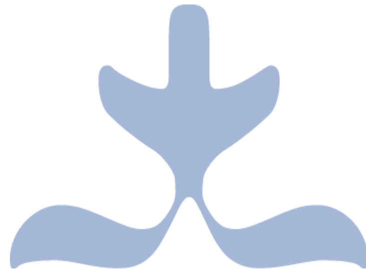
فريق عمل مدوّنة الدكتور رشيد الجراح:

- المهندس **عامر محمد العوض، مهندس نظم المعلومات من مايكروسوفت.**
- المهندس **زكرياء مصباح، مهندس مدني.**
- الأستاذ **مصطفى عيسى، مصمم ديكور ومستشار في العقارات.**
- الأستاذ **محمد عادل الخولي، مستشار في العقارات.**
- الدكتور **يوسف فرمي، مهندس البحث والتطوير في الإلكترونيات الدقيقة والبصريات.**

للإتصال بالفريق : roohblog2025@gmail.com

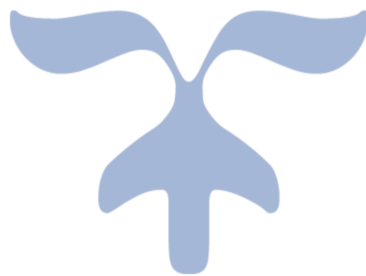
الفهرس:

الفهرس



قصة ذي القرنين

الجزء الأول



قصة ذي القرنين، قصة يأجوج ومأجوج – الجزء الأول

قصة السد المزعوم:

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

قصة الردم الحقيقي:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: 95]

التساؤلات

⇐ من هم يأجوج ومأجوج؟
⇐ أين مكان تواجدهم؟
⇐ متى كان زمان تواجدهم؟
⇐ هل سيخرجون مرة ثانية؟
⇐ ومتى سيكون ذلك؟
⇐ من هو ذو القرنين؟
⇐ لم جاء ذكره في كتاب الله؟
⇐ لماذا سمي بذي القرنين؟
⇐ ما هي الرحلات التي قام بها؟
⇐ هل قام ذو القرنين ببناء سد كما طلب القوم؟
⇐ وأين هو مكان ذاك السد في جغرافية العالم (إن صح ما زعموا)؟
⇐ الخ

حاولنا في مقالات سابقة لنا أن نتعرض لهذه القصة القرآنية من بعض جوانبها، وكان ذلك لغرض إثبات أو تفنيد قضية فكرية محددة بذاتها تخص النقاش الذي كان دائر حينئذ. أما في هذه السلسلة الجديدة من المقالات فسنحاول (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) أن نخوض في تفاصيل هذه القصة بذاتها، محاولين أن نقدم جملة من الافتراءات التي هي لا شك من عند أنفسنا والتي نظن أنها ربما تسعف في فهم القصة من جديد، مشدّدين في الوقت ذاته على موقفنا العقائدي الثابت الذي تعرضنا له في مقالتنا تحت عنوان جدلية الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم والمتمثل بحتمية قراءة النص القرآني – في نظرنا- على الحقيقة، وذلك لخلو القران الكريم بأكمله (في ظننا) من المجازات. لذا سنحاول أن نقرأ الآيات الكريمة الخاصة بالقصة لنفهم مفرداتها على الحقيقة دون اللجوء إلى المجازات والاستعارات التي نظن أنها غالبا ما شوهت التفاسير

للنص القرآني، وبالتالي أخذت المفسرين بعيدا عن اكتشاف الحقائق التي يجليها النص القرآني. وسنقدم المثال هنا من قصة ذي القرنين التي وردت في سورة الكهف في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: 83-98]

السؤال الأول: هل يمكن أن نثق بعلم من سبقنا ممن تصدوا لتفسير هذه الآيات الكريمة الخاصة بهذه القصة؟

جواب: لا أظن ذلك.

السؤال: لماذا؟

رأينا: نحن نعتقد جازمين بأنه من أجل أن نثق بعلم من سبقنا من أهل الدراية الذي نقله لنا أهل الرواية فلابد أن يثبت لنا بأنه يقع في باب العلم في المقام الأول. أما إن ثبت لنا بالدليل القاطع أنه "كلام" لا يرقى إلى درجة أن يكون علما، فذاك إذن تهريج يمكن أن يتسلى به الناس في مجالس الشتاء الطويلة حول نار أجدادهم العتيقة، أو أن يتسامروا به في ليل الصيف الدافئ على ضوء القمر ليتذاكروا الأشعار التي قيلت فيه والتي هي من صنعة الذين يتبعهم الغاوون. أما من أراد الخوض في كتاب الله فسيكون لزاما عليه أن يأتي بالبرهان على كل افتراء يسوقه من عند نفسه:

- ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: 111]
- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: 24]

- ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: 75]

وذلك البرهان يتحصل (نحن نؤمن) بواحدة من طريقين: إما بالعلم من الكتاب أو بأثارة من علم:

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: 4]

وبخلاف ذلك يبقى الحديث كله محض افتراء كذب على الله، يقع في باب الظن وما تهوى الأنفس:

- ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: 23]

وبالتالي فهو مما يقع في دائرة علم الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون:

- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: 78]

السؤال: لماذا هذه المقدمة النارية الهجومية على علماء الأمة؟ كما ذكّرنا أحد القراء الأكارم الذي ظن أننا بأسلوبنا هذا إنما نشن حربا على علماء الأمة. وربما يزيد صاحبنا في السؤال مستغربا: ألا تعلم أن لحوم علماء الأمة مسمومة؟ ألا تظن بأن القدح في العلماء ربما ينقل الشخص إلى دائرة الشبهات؟ ثم، ما علاقة هذا كله بقصة يأجوج ومأجوج؟

رأينا: نحن نكاد نجزم الظن بأن ما وصلنا حول هذه الجزئية من "علم" من عند من سبقنا من أهل الدراية كما نقله لنا أهل الرواية إنما يقع – برأينا- في دائرة الأماني والظنون وذلك لأنه يخلو (نحن نفتري القول) من الدليل من الكتاب ليثبته أو أثارة من علم لتسنده.

الدليل

لنبدأ النبش بما جاءنا عن هذه القصة القرآنية من عند من سبقنا من أهل الدراية كما نقله لنا أهل الرواية، فإليك عزيزي القارئ (خاصة من ظن بأننا نتجنى على علمائه الأجلاء) تفسير القصة القرآنية كما جاءت في الطبري مثلا، راجيا أن تقرأ الكلام بنفسك لا أن تترك الآخرين يقرءونه ثم ينقلون لك منه ما يختارون ويكتمون عنك ما يريدون:

وقوله : { إن يأجوج ومأجوج } اختلفت القراء في قراءة قوله { إن يأجوج ومأجوج } فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم : " إن يأجوج ومأجوج " بغير همز على فاعول من يججت ومججت , وجعلوا الألفين فيهما زائدتين , غير عاصم بن أبي النجود والأعرج , فإنه ذكر أنهما قرآ

ذلك بالهمز فيهما جميعا , وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام , وكأنهما جعلا يأجوج : يفعول من أججت , ومأجوج : مفعول . والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا , أن { ياجوج وماجوج } بألف بغير همز لإجماع الحجة من القراء عليه , وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ; ومنه قول رؤبة بن العجاج . لو أن ياجوج وماجوج معا وعاد عادوا واستجاشوا تبعا وهم أمتان من وراء السد

ومأجوج مفسدون في

وقوله : { مفسدون في الأرض } اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين , فقال بعضهم : كانوا يأكلون الناس . ذكر من قال ذلك : 17582 - حدثنا أحمد بن الوليد الرملي , قال : ثنا إبراهيم بن أيوب الخوزاني , قال : ثنا الوليد بن مسلم , قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله { إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض } قال : كانوا يأكلون الناس . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض , لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون . ذكر من قال ذلك , وذكر صفة اتباع ذي القرنين الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية , وذكر سبب بنائه للردم : 17583 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , قال : ثنا محمد بن إسحاق , قال : ثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب , ممن قد أسلم , مما توارثوا من علم ذي القرنين , أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني , من ولد يونن بن يافث بن نوح . 17584 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , قال : ثني محمد بن إسحاق , عن ثور بن يزيد , عن خالد بن معدان الكلاعي , وكان خالد رجلا قد أدرك الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال : " ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب " قال خالد : وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول : يا ذا القرنين , فقال : اللهم غفرا , أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء , حتى تسموا بأسماء الملائكة ؟ فإن كان رسول الله قال ذلك , فالحق ما قال , والباطل ما خالفه . 17585 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , قال : ثني محمد بن إسحاق , قال : فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني , وكان له علم بالأحاديث الأول , أنه كان يقول : ذو القرنين رجل من الروم . ابن عجوز من عجائزهم , ليس لها ولد غيره , وكان اسمه الإسكندر . وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس , فلما بلغ وكان عبدا صالحا , قال الله عز وجل له : يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض , وهي أمم مختلفة ألسنتهم , وهم جميع أهل الأرض ; ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله , ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله , وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض : فأمة عند مغرب الشمس , يقال لها : ناسك . وأما الأخرى : فعند مطلعها يقال لها : منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض , فأمة في قطر الأرض الأيمن , يقال لها : هاويل . وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر , فأمة يقال لها : تاويل ; فلما قال الله له ذلك , قال له ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت , فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها , بأي قوة أكابرهم , وبأي جمع أكاثرهم , وبأي حيلة أكايدهم , وبأي صبر أقاسيهم , وبأي لسان أناطقهم , وكيف لي بأن أفقه لغاتهم , وبأي سمع أعي قولهم , وبأي بصر أنفذهم , وبأي حجة أخاصمهم , وبأي قلب أعقل عنهم , وبأي حكمة أدبر أمرهم , وبأي قسط أعدل بينهم , وبأي حلم أصابرهم , وبأي معرفة

أفصل بينهم , وبأي علم أتقن أمورهم , وبأي يد أسطو عليهم , وبأي رجل أطؤهم , وبأي طاقة أخصمهم , وبأي جند أقاتلهم , وبأي رفق أستألفهم , فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم , ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم , وأنت الرب الرحيم , الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها , ولا يحملها إلا طاقتها , ولا يعنتها ولا يفدحها , بل أنت ترأفها وترحمها . قال الله عز وجل : إني سأطوقك ما حملتك , أشرح لك صدرك , فيسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء , وأبسط لك لسانك , فتنطق بكل شيء , وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء , وأمد لك بصرك , فتنفذ كل شيء , وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء , وأحصي لك فلا يفوتك شيء , وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء , وأشد لك ظهرك , فلا يهدك شيء , وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء , وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء , وأسخر لك النور والظلمة , فأجعلهما جندا من جنودك , يهديك النور أمامك , وتحوطك الظلمة من ورائك , وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء , وأبسط لك من بين يديك , فتسطو فوق كل شيء , وأشد لك وطأتك , فتهد كل شيء , وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء . ولما قيل له ذلك , انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس , فلما بلغهم , وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله , وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله , وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة , وقلوبا متفرقة ; فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة , فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها , فأحاطتهم من كل مكان , وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد , ثم أخذ عليهم بالنور , فدعاهم إلى الله وإلى عبادته , فمنهم من آمن له , ومنهم من صد , فعمد إلى الذين تولوا عنه , فأدخل عليهم الظلمة . فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم , ودخلت في بيوتهم ودورهم , وغشيتهم من فوقهم , ومن تحتهم ومن كل جانب منهم , فماجوا فيها وتحيروا ; فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد , فكشفها عنهم وأخذهم عنوة , فدخلوا في دعوته , فجند من أهل المغرب أمما عظيمة , فجعلهم جندا واحدا , ثم انطلق بهم يقودهم , والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم , والنور أمامهم يقودهم ويدلهم , وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى , وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل , وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره , فلا يخطئ إذا ائتمر , وإذا عمل عملا أتقنه . فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه , فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال , فنظمها في ساعة , ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود , فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها , ثم دفع إلى كل إنسان لوحا فلا يكرثه حمله , فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل , فعمل فيها كعمله في ناسك . فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس , فعمل فيها وجند منها جنودا , كفعله في الأمتين اللتين قبلها , ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى , وهو يريد تأويل وهي الأمة التي بحيال هاويل , وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله ; فلما بلغها عمل فيها , وجند منها كفعله فيما قبلها ; فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس , ويأجوج ومأجوج ; فلما كان في بعض الطريق ما يلي منقطع الترك نحو المشرق , قالت له أمة من الإنس صالحة : يا ذا القرنين , إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله , وكثير منهم مشابه للإنس, وهم أشباه البهائم , يأكلون العشب , ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع , ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب , وكل ذي روح ما خلق الله في الأرض , وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد , ولا يزداد كزيادتهم , ولا يكثر ككثرتهم , فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم , فلا شك أنهم سيملئون الأرض , ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها

فيفسدون فيها , وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم , وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين { فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما } أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم , وأعلم علمهم , وأقيس ما بين جبليهم . ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم , فوجدهم على مقدار واحد , ذكرهم وأنثاهم , مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا , لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا , وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها , وأحناك كأحناك الإبل قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل , أو كقضم الفحل المسن, أو الفرس القوي , وهم هلب , عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم , وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم ; ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان : إحداهما وبرة ظهرها وبطنها , والأخرى زغبة ظهرها وبطنها , تسعانه إذا لبسهما , يلتحف إحداهما , ويفترش الأخرى , ويصيف في إحداهما , ويشتي في الأخرى , وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه , ومنقطع عمره, وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد , ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد , فإذا كان ذلك أيقن بالموت , وهم يرزقون التنين أيام الربيع , ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه , فيقذفون منه كل سنة بواحد , فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل , فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم , فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا , ورئي أثره عليهم , فدرت عليهم الإناث , وشبقت منهم الرجال الذكور , وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا , وجفرت الذكور , وحالت الإناث , وتبين أثر ذلك عليهم , وهم يتداعون تداعي الحمام , ويعوون عواء الكلاب , ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم . فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين , فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك ما يلي مشرق الشمس , فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ ; فلما أنشأ في عمله , حفر له أساسا حتى بلغ الماء , ثم جعل عرضه خمسين فرسخا , وجعل حشوه الصخور , وطينه النحاس , يذاب ثم يصب عليه , فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض , ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب , وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر , فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد ; فلما فرغ منه وأحكمه . انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن ; فبينا هو يسير , دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون , فوجد أمة مقسطة مقتصدة , يقسمون بالسوية , ويحكمون بالعدل , ويتآسون ويتراحمون, حالهم واحدة , وكلمتهم واحدة , وأخلاقهم مشتبهة , وطريقتهم مستقيمة , وقلوبهم متألفة , وسيرتهم حسنة , وقبورهم بأبواب بيوتهم , وليس على بيوتهم أبواب , وليس عليهم أمراء, وليس بينهم قضاة , وليس بينهم أغنياء , ولا ملوك , ولا أشراف , ولا يتفاوتون , ولا يتفاضلون , ولا يختلفون , ولا يتنازعون , ولا يستبون , ولا يقتتلون , ولا يقحطون , ولا يحردون , ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس , وهم أطول الناس أعمارا , وليس فيهم مسكين , ولا فقير , ولا فظ , ولا غليظ ; فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم , عجب منه ! وقال : أخبروني , أيها القوم خبركم , فإني قد أحصيت الأرض كلها برها وبحرها , وشرقها وغربها , ونورها وظلمتها , فلم أجد مثلكم , فأخبروني خبركم ; قالوا : نعم , فسلنا عما تريد , قال : أخبروني , ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت , ولا يخرج ذكره من قلوبنا ; قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب ؟ قالوا : ليس فينا متهم , وليس منا إلا أمين مؤتمن ; قال : فما لكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لا نتظالم ; قال : فما بالكم ليس فيكم حكام ؟ قالوا : لا نختصم ; قال : فما

بالكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لا نتكاثر ; قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لا نتكابر ; قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا ; قال : فما بالكم لا تستبون . ولا تقتتلون ؟ قالوا : من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم , وسسنا أنفسنا بالأحلام; قال : فما بالكم كلمتكم واحدة , وطريقتكم مستقيمة مستوية ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتكاذب , ولا نتخادع , ولا ينتاب بعضنا بعضا ; قال : فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم , واعتدلت سيرتكم ؟ قالوا : صحت صدورنا , فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا ; قال : فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل أنا نقتسم بالسوية ; قال : فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذل والتواضع ; قال : فما جعلكم أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل ; قال : فما بالكم لا تقحطون ؟ قالوا : لا نغفل عن الاستغفار ; قال : فما بالكم لا تحردون ؟ قالوا : من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا , وأحببناه وحرصنا عليه , فعرينا منه ; قال : فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس ؟ قالوا : لا نتوكل على غير الله , ولا نعمل بالأنواء والنجوم ; قال : حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم , ويواسون فقراءهم , ويعفون عمن ظلمهم , ويحسنون إلى من أساء إليهم , ويحلمون عمن جهل عليهم , ويستغفرون لمن سبهم , ويصلون أرحامهم , ويؤدون أماناتهم , ويحفظون وقتهم لصلاتهم , ويوفون بعهودهم , ويصدقون في مواعيدهم , ولا يرغبون عن أكفائهم, ولا يستنكفون عن أقاربهم , فأصلح الله لهم بذلك أمرهم , وحفظهم ما كانوا أحياء , وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم . 17586 - حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , عن أبي رافع , عن أبي هريرة , عن نبي الله صلى الله عليه وسلم : " إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم , حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا, فيعيده الله وهو كهيئته يوم تركوه , حتى إذا جاء الوقت قال : إن شاء الله , فيحفرونه ويخرجون على الناس , فينشفون المياه , ويتحصن الناس في حصونهم , فيرمون بسهامهم إلى السماء , فيرجع فيها كهيئة الدماء , فيقولون : قهرنا أهل الأرض , وعلونا أهل السماء , فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فتقتلهم " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم " . 17587 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , عن محمد بن إسحاق , عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري , عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل , عن أبي سعيد الخدري , قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل { وهم من كل حدب ينسلون } 21 96 فيغشون الأرض , وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم , ويضمون إليهم مواشيهم , فيشربون مياه الأرض , حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه , حتى يتركوه يابسا , حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر , فيقول : لقد كان ها هنا ماء مرة , حتى لم يبق من الناس أحد إلا انحاز إلى حصن أو مدينة , قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم , بقي أهل السماء , قال: ثم يهز أحدهم حربته , ثم يرمي بها إلى السماء , فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة . فبينا هم على ذلك , بعث الله عليهم دودا في أعناقهم كالنغف , فتخرج في أعناقهم فيصبحون موتى , لا يسمع لهم حس , فيقول المسلمون : ألا رجل يشري لنا نفسه , فينظر ما فعل العدو , قال : فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه , قد وطنها على أنه مقتول , فينزل فيجدهم موتى , بعضهم على بعض , فينادي : يا معشر المسلمين , ألا أبشروا , فإن الله قد كفاكم عدوكم , فيخرجون من مدائنهم

وحصونهم , ويسرحون مواشيهم , فما يكون لها رعي إلا لحومهم , فتشكر عنهم أحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابت قط " . 17588 - حدثني بحر بن نصر , قال : أخبرنا ابن وهب , قال: ثني معاوية , عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد : أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف : صنف طولهم كطول الأرز , وصنف طوله وعرضه سواء , وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى فتغطي سائر جسده . 17589 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثنى أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس : { قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض } قال : كان أبو سعيد الخدري يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل " قال : وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول : لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه . فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج , يدل على أن الذين قالوا لذي القرنين { إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض } إنما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الإفساد في الأرض , لا أنهم شكوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم , والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض , ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم إفساد . فإذا كان ذلك كذلك بالذي بينا , فالصحيح من تأويل قوله { إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض } إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض .

الأرض فهل نجعل لك

وقوله { فهل نجعل لك خرجا } اختلفت القراء في قراءة ذلك , فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة : { فهل نجعل لك خرجا } كأنهم نحوا به نحو المصدر من خرج الرأس . وذلك جعله . وقرأته عامة قراء الكوفيين : " فهل نجعل لك خراجا " بالألف , وكأنهم نحوا به نحو الاسم , وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم . وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه : " فهل نجعل لك خراجا " بالألف , لأن القوم فيما ذكر عنهما , إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد , وقد بين ذلك بقوله : { فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما } ولم يعرضوا عليه جزية رءوسهم . والخراج عند العرب : هو الغلة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 17590 - حدثنا القاسم , قال : ثنا الحسين , قال : ثني حجاج , عن ابن جريج , عن عطاء الخراساني , عن ابن عباس " فهل نجعل لك خراجا " قال : أجرا { على أن تجعل بيننا وبينهم سدا } 17591 - حدثنا الحسن بن يحيى , قال : أخبرنا عبد الرزاق , قال : أخبرنا معمر , عن قتادة , في قوله : " فهل نجعل لك خراجا " قال : أجرا . * - حدثنا القاسم , قال : ثنا الحسين , قال : ثنا أبو سفيان , عن معمر , عن قتادة , قوله : " فهل نجعل لك خراجا " قال : أجرا .

خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم

وقوله : { على أن تجعل بيننا وبينهم سدا } يقول : قالوا له : هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم , ويمنعهم من الخروج إلينا . وهو السد

(انتهى الاقتباس)

لمّا كنت لا أريد أن أدخل بتفاصيل هذا "التأويل العظيم" مادام أنه مبني كله (في ظني) على "تخريفات" لا يدعمها الدليل القاطع من الكتاب أو أن فيها أثارة من علم تسد رمق الباحث عن الحقيقة، فيكفيني أن أقف مع القارئ الكريم على بعضه لنثبت (لمن يريد) أن "الحقيقة المنشودة" هي أبعد ما تكون عن مثل هذا الكلام المفترى عل الله كذبا. وسأحاول أن أنبش في ثلاث جزئيات فقط لإثبات هذا الزعم الخطير الذي نحاول تبيانه للقارئ الكريم، وهذه الجزئيات هي ما وضعنا تحته خط في التأويل السابق، ولنبدأ بها الواحدة تلو الأخرى.

أولا: حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , قال : ثنا محمد بن إسحاق , قال : ثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب , ممن قد أسلم , مما توارثوا من علم ذي القرنين , أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني , من ولد يونن بن يافث بن نوح

لاحظ - عزيزي القارئ- أنه مادام أن الكلام قد رُفِع إلى ابن إسحق فإنه – كالعادة- لن يخلو من تخريفات من سبقنا من أهل الكتاب. فلا يمكن أن تجد أسماء أبطال القصص الدينية إلا في بطون تحريفات التوراة وأكاذيب التلمود. لذا يجب التحري والتأكد قبل الاقتباس والتيقن. فمن أين عرف هؤلاء المفسرون اسم ذاك الرجل الذي نعته الله بلقب "ذي القرنين" في كتابه الكريم؟ هل هذا موجود في الكتاب أم هل وجدوا أثارة من علم ترشدهم إلى اسمه؟ وكيف عرفوا أنه مصري الجنسية يوناني الأصل (وربما المولد: أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني)؟ من يدري؟!!!

ثانيا: قال : ثني محمد بن إسحاق , قال : فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني , وكان له علم بالأحاديث الأول , أنه كان يقول : ذو القرنين رجل من الروم . ابن عجوز من عجائزهم , ليس لها ولد غيره , وكان اسمه الإسكندر . وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس

لاحظ - عزيزي القارئ- التضارب في النقل حتى عن الشخص الواحد (وهو محمد بن إسحق في هذا المقام). فبعد أن كان يتحدث عن ذي القرنين على أنه من أهل مصر واسمه مرزبا بن مردبة اليوناني في البداية أصبح الآن يتحدث عنه على أنه الإسكندر من الروم. ويزيد الطين بله قوله أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. فلعمري هذا لا يتعارض فقط مع الدليل النقلي وإنما يجعل عصافير الرأس (إن بقي شيء منها) تطير من مهجعها. فأي شخص هذا الذي صفحتي رأسه من نحاس؟ هل هذا لأنه "ذو القرنين"؟ أهكذا فهم السلف الصالح، عمالقة اللسان العربي قول الحق بأن الرجل هو "ذو القرنين"؟ أهذا هو كل ما جادت به قرائحهم اللغوية الفذة؟ من يدري؟!!! لننتظر ونرى ما يمكن أن نخرّص نحن (من لا نملك فصاحة القوم) في هذا المقام بعد قليل حول تسميته بذي القرنين، ثم لنترك للقارئ الكريم أن يحكم بنفسه بيننا.

ثالثا: وقوله : { على أن تجعل بيننا وبينهم سدا } يقول : قالوا له : هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم , ويمنعهم من الخروج إلينا . وهو السد

دعنا نبدأ النقاش الحقيقي من هذه النقطة، والهدف هو أن نثبت للقارئ البسيط من مثلي كم هي ساذجة مثل هذه الأفهام السابقة التي جاءت في هذا التفسير العظيم! ولعمري فإني على يقين بأنها تكاد لا تسوى الحبر الذي كتبت به ناهيك عن الرقع التي خطت عليها. ولو أن طالبا في الصف الثالث الابتدائي ج قد كتبها ثم قرأها على زملائه في الصف لأثار (نحن نتخيل) زوبعة من الضحك والهرج والمرج على "سخافة" مثل هذا التفكير - لو كان بينهم رجل رشيد (مثلي بالطبع).

السؤال: هل يمكن أن نثق بكلام من سبقنا هذا؟ هل يجب أن نحمله محمل الجد؟ هل يجب أن نضعه في بطون أمهات الكتب ثم نظن أن فيها من العلم ما يستحق أن ننفق عليه المال والجهد؟

رأينا: كلا وألف كلا، إن سلة المهملات أو RECYCLE BIN بالكلمات الأعجمية التي قد لا تثير الاشمئزاز عند البعض هي– في ظننا- المكان الأمثل لمثل هذا التهريج، وذلك لأنه ينمّ عن سطحية في التفكير تكاد تكون خرافية في الوجود. فمن آمن ووثق بمثل هذه الأفهام فهو بلا شك شخص يحتاج أن يعيد النظر في قدراته الذهنية كشخص حباه الله بنعمة التفكر، فأنكرها على نفسه عندما أوكل غيره ليفكر له نيابة عنه.

السؤال: لماذا؟

رأينا: عند البحث عن قصة يأجوج ومأجوج وجدنا الحديث قد استفاض عن ذاك السد الذي ظن سلفنا الصالح أن الرجل (ذا القرنين) قد بناه ليصد خطر يأجوج ومأجوج عن القوم. فهذا ما وجدناه عن ذاك السد في الطبري مثلا:

القول في تأويل قوله تعالى : { قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما } يقوله تعالى ذكره : قال ذو القرنين : الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربي ووطأه لي , وقواني عليه , خير من جعلكم , والأجرة التي تعرضونها علي لبناء ذلك , وأكثر وأطيب , ولكن أعينوني منكم بقوة , أعينوني بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل . كما : 17592 - حدثنا القاسم , قال : ثنا الحسين , قال : ثني حجاج , عن ابن جريج , عن مجاهد { قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة } قال : برجال { أجعل بينكم وبينهم ردما } وقال ما مكني , فأدغم إحدى النونين في الأخرى , وإنما هو ما مكنني فيه . وقوله : { أجعل بينكم وبينهم ردما } يقول : أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما . والردم : حاجز الحائط والسد , إلا أنه أمنع منه وأشد , يقال منه : قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردما ورداما ويقال أيضا : ردم ثوبه يردمه , وهو ثوب مردم : إذا كان كثير الرقاع ; ومنه قول عنترة : هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 17593 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , قوله : { أجعل بينكم وبينهم ردما } قال : هو كأشد الحجاب . 17594 - حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا

سعيد , عن قتادة , قال : ذكر لنا أن رجلا قال : يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج , قال : " انعته لي " , قال : كأنه البرد المحبر , طريقة سوداء , وطريقة حمراء , قال : " قد رأيته"

ولو فتشت – أخي القارئ الكريم- في بطون الكتب الأخرى لعثرت على "تكهنات" و"تخمينات" كثيرة جدا حول ذاك السد المزعوم ومكان تواجده، فقد ظن كثير منهم (أي من أهل الدراية السابقين) بأنه سد الصين العظيم، وقال بعضهم أنه يقع في ما وراء بلاد السند والهند، وجاء آخرون محدثون ليتحدثوا عنه على أنه هو ما يسمى بمثلث برمودا، ورفعه بعضهم في السماء، و أنزله آخرون منهم في باطن الأرض، وهكذا. والقارئ الكريم مدعو أن يبحث في الشبكة العنكبوتية عن هذا الموضوع ليرى بأم عينه ما جادت به قرائح أهل العلم عن مكان ذاك السد. وها هو أحد الخلفاء العباسيين يجهز حملة من أهل العلم (الراسخون فيه حتى الثمالة) ليذهبوا في رحلة استكشافية عن هذا السد العظيم.

السؤال المربك لنا: هل يحتاج البحث عن ذاك السد كل هذا الجهد؟ وهل استطاع القوم أن يجدوه بما توافر لهم من تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين مثلا؟ من يدري؟!!!

موقفنا المبدئي: لعلي أظن أني استطيع أن أكشف اللثام عن هذا السد في دقائق معدودة، ولعلي استطيع أن أطلع القارئ الكريم عليه الآن دون أن يتزحزح من مكانه، ولعلي أجزم القول بأن العثور على السد لا يتطلب أكثر من دقائق ننفقها معا في قراءة الآيات الكريمة جيدا.

السؤال: وكيف ذلك؟ فأين هو ذاك السد (إن صح ما تزعم)؟ يقول صاحبنا مستغربا.

جواب: هو موجود في مخيال علمائنا الأجلاء فقط، فليس هناك سد أساسا يمكن أن نبحث عنه، فتلك كذبة كبيرة افتراها أهل العلم على الله وصدقها الناس عندما وثقوا بمشايخهم أصحاب العقول "العظيمة" التي تتناسب مع حجم اللحى والعمامات التي ألبسوها أنفسهم.

الدليل

دعنا نقرأ الآيات الكريمة ذات الصلة معا لأبيّن لك - عزيزي القارئ البسيط- أين يقع ذلك السد المزعوم. قال تعالى:

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: 94-95]

دقق – عزيزي القارئ الكريم- النظر جديدا في هذه الآيات الكريمة. ألا ترى أن القوم قد طلبوا من ذي القرنين أن يبني لهم سدا؟

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

السؤال التالي مباشرة: وكيف جاء رد ذي القرنين على طلبهم هذا؟ ألم يؤكد لهم بأن الله قد مكنه فيما هو خير (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ)؟ ألم يطلب منهم العون بقوة بعد ذلك (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ)؟ فما الذي فعله الرجل بعد أن أعانه القوم بقوة؟ ألم يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردما (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا)؟ انظر الآية التالية جيدا:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: 95]

السؤال المربك لكل من يقرأ في تفاسير أهل العلم هو: ما الذي فعله ذو القرنين إذن: أهو سد (يا سادة) أم ردم (يا أحبة)؟

إعادة لما سبق: دعنا نعيد الفكرة نفسها بكلمات أخرى ليتجلى مراد قولنا للجميع بغض النظر عن قدرته اللغوية في الاستنباط من كتاب الله، فنقول: لاحظ - عزيزي القارئ- أن القوم يطلبون من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا يصد خطرهم، ولكن ذو القرنين بيّن لهم بأن هناك طريقة أفضل لصد الخطر القادم من هناك، وهذه الطريقة تتمثل بإحداث الردم (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا)، أليس كذلك؟

فأين إذن هو السد الذي يتحدث عنه أهل العلم؟ وأين هو السد الذي انطلقت رحلة أهل العلم (الراسخون فيه حتى الثمالة) للبحث عنه؟ وأين هو سور الصين العظيم من ذلك؟ فهل ذلك ردم أم سد؟ وما دخل مثلث برمودا وأنفاق الأرض بذلك كله؟

نتيجة مهمة: ما جعله ذو القرنين هو ردم وليس سدا (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا)

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: لقد كان الأولى بأهل العلم أن يبدءوا البحث عن الردم بدل أن ينفقوا جل وقتهم وجهدهم في البحث عن سد هو أساسا غير موجود إلا في عقولهم الغارقة في الخيال والأوهام. فلعلي كنت (ربما) أثق بعض الشيء بقدرات سادتنا العلماء أهل الدراية العقلية لو أنهم انطلقوا يبحثون عن ردم مادام أن ذا القرنين قد جعل بين القومين ردما ولم يبني بينهما سدا. ألا ترى - عزيزي القارئ- أننا قد أنفقنا قرونا من الزمن نبحث عن شيء هو غير موجود على أرض الواقع أصلا؟ فأي ضلال وأي ظلمات أكثر من ذلك تريد منا أن نقنعك بأننا غارقون فيها؟ أليس هذا هو الضلال المبين؟ هل تعتقد أن العقول التي ظلت أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن تظن أن النص القرآني يتحدث عن وجود سد هل تظن أنها تستحق أن نضع بها ثقتنا؟ هل تظن أن هذه " العقول العظيمة" تستحق أن يوكل إليها مهمة تجلية العقيدة للناس البسطاء من مثلي ومثلك؟ ألا ترى أنها قد ضلت وأضلت؟ من يدري؟!!!

السؤال: ما الفرق بين السد والردم؟

رأينا المفترى: لعلي أظن أن من أبسط الفروق بين السد والردم هو أن الفعل اللازم لإحداث أحدهما يتعاكس تماما مع الفعل اللازم لإحداث الآخر. ففي حين أن السد يتطلب البناء فإن الردم يتطلب الهدم. فالسد هو تشيد ما هو غير مشيّد، بينما الردم – بالمقابل- فهو هدم ما هو مشيّد. لذا فإن ما فعله ذو القرنين هو عكس ما طلب القوم منه.

طلب القوم:

- ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: 94]

رد ذي القرنين على أرض الواقع:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: 95]

نتيجة مفتراة: تعال معنا - عزيزي القارئ- في رحلة بحثية ولكن هذه المرة عن الردم الذي أحدثه ذو القرنين بعد أن أعانه القوم بقوة بدل أن نبحث – كما فعل أسلافنا من أهل العلم- عن السد الذي طلبه القوم منه.

السؤال: أين هو ذاك الردم الذي أحدثه ذو القرنين ليكف فساد يأجوج ومأجوج في الأرض؟

جواب مفترى: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن ذاك الردم الذي أحدثه ذو القرنين ليكف فساد يأجوج ومأجوج في الأرض غير موجود على سطح الكرة الأرضية إطلاقا.

الدليل

لكي نستطيع إثبات هذا الافتراء الخطير جدا فلابد أن نخوض في تفاصيل الرحلات الثلاثة التي قام بها ذو القرنين كما يجليها النص القرآني، وهي

1. بلوغه مغرب الشمس
2. بلوغه مطلع الشمس
3. بلوغه بين السدين

السؤال: كيف حصل ذلك؟

الباب الأول: بلوغ ذي القرنين مغرب الشمس

رأينا: يثبت النص القرآني بما لا يدع مجالاً للشك أنّ ذا القرنين قد بلغ مغرب الشمس مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ [الكهف: 86]

السؤال المربك لنا: كيف يمكن أن نفهم أن القرآن الكريم يثبت بلوغ ذي القرنيين مغرب الشمس ونحن نعرف يقيناً أن الشمس لا تغيب في مكان واحد؟ فمغيب الشمس يختلف باختلاف المكان. فهل مغيب الشمس بالنسبة لأهل المشرق هو نفس المغيب بالنسبة لأهل المغرب؟ والمنطق نفسه ينطبق على مطلع الشمس، فلا شك أن للشمس مطلع يختلف باختلاف المكان الذي يتواجد فيه الإنسان، وهنا جاء دور المفسرين في إدخال الاستعارة والمجاز في التفسير، ولكن تبقى الحقيقة صارخة: إذا كان المغرب أو المشرق يختلف باختلاف المكان، فأي مطلع وأي مغرب للشمس بلغه ذو القرنين؟ فلو ظن أهل الشرق الأوسط مثلاً أنه مغربهم أو مطلعهم، لنبرى أهل الصين أو أهل أوروبا ليقولوا أن القرآن لا يخصنا، وهكذا بالنسبة لبقية أقطار الأرض.

المعضلة: إن صح هذا الافتراء، فلم يثبت القرآن أن للشمس مغرب واحد ومطلع واحد في هذه الآية (وهو ما بلغه ذو القرنين) في حين أنه يثبت في مكان آخر أن هناك مشارق ومغارب؟

- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾ [الصافات: 5]
- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾ [المعارج: 40]

لا بل ويثبت القرآن الكريم أن للمكان الواحد عدة مشارق (باختلاف أوقات السنة)، فلا شك أن الشمس تشرق من مكان في فصل الصيف يختلف عن مشرقها في الربيع أو الخريف أو الشتاء، لا بل فإن الشمس تشرق في كل يوم في مشرق يختلف عن اليوم الذي يليه أو الذي سبقه كما يراه أهل المكان الواحد، قال تعالى:

- ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: 137]

السؤال: وأي مغرب بلغه ذو القرنين؟

رأينا المفترى: هو مغرب واحد، لا يختلف باختلاف المكان على وجه الأرض كلها

السؤال: وأين هو؟

جواب: إنه المغرب الحقيقي للشمس نفسها وليس المغارب التي تظهر لمن هو موجود على سطح الأرض

السؤال: وكيف يكون ذلك؟

جواب مفترى خطير جدا: لأن رحلة ذي القرنين هذه كانت رحلة فضائية خارج نطاق الكرة الأرضية

الدليل الأول

إن جلب الدليل على هذا الافتراء يتطلب – في رأينا- فهم الآيات القرآنية على حقيقتها، وذلك بإثبات ما جاء بصريح اللفظ القرآني وهو أن للشمس مشارق ومغارب (مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا) ولكن ذو القرنين بلغ مغربا واحداً للشمس (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ) وبلغ مطلعاً واحداً للشمس (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ)، ولكن كيف ذلك؟

افتراء 1: للأرض مشارق ومغارب لأن الشمس تختلف مشارقها ومغاربها بالنسبة لمن هم متواجدون على سطحها

افتراء 2: للشمس نفسها مغرب واحد وللشمس مطلع واحد لا يتحدد بتواجد قوم ما على سطح الأرض، لأن ذلك المغرب وذلك المطلع هو نفسه للجميع.

افتراء 3: لقد بلغ ذو القرنين مغرب الشمس الذي يخص كل سكان الأرض وليس قوم بعينهم (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ)

افتراء 4: لقد بلغ ذو القرنين مطلع الشمس الذي يخص كل سكان الأرض وليس قوم بعينهم (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ)

تخيلاتنا: نحن نزعم الفهم أن الدليل على هذه الافتراءات الخطيرة جدا تلزمنا إعادة تدبر الآيات القرآنية التي تتحدث عن قصة ذي القرنين نفسها، والتي أظن أن الفكر الديني السائد قد أخفق في فهمها فهماً حقيقاً، وأخص هنا على وجه التحديد عبارة محددة وردت في النص القرآني في قصة ذي القرنين ثلاث مرات وهي عبارة " أَتۡبَعَ سَبَبًا " في قوله تعالى:

- ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [الكهف: 85]
- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩﴾ [الكهف: 89]
- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢﴾ [الكهف: 92]

لقد وردت هذه العبارة ثلاث مرات في قصة ذي القرنين، ومما لا شك فيه عندنا أنها كانت ترد في بداية انتقاله من مكان إلى مكان آخر، فجاءت في المرة الأولى وكانت النتيجة بلوغه مغرب الشمس،

- ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ۝٨٦﴾ [الكهف: 85-86]

ووردت مرة أخرى فكانت النتيجة وصوله مطلع الشمس:

- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ۝٩٠﴾ [الكهف: 89-90]

ثم وردت مرة ثالثة فكانت النتيجة أن بلغ بين السدين:

- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾ [الكهف: 92-93]

إنّ المتدبر للنص القرآني يجد أن تلك العبارة (أَتۡبَعَ سَبَبًا) تدل على حركة ذي القرنين من مكان إلى مكان آخر، ولب القول هو أنه كلما كان ذو القرنين بحاجة إلى الانتقال إلى مكان آخر (غير المكان الذي هو فيه) كان عليه أن يتبع سبباً، أليس كذلك؟ فما معنى أن يتبع ذو القرنين سببا؟

السؤال: ما هو السبب الذي كان يتبعه ذو القرنين؟

رأينا المفترى: لقد وردت هذه المفردة في مواطن أخرى من كتاب الله لتدل على طريقة الحركة والانتقال، فها هو فرعون مثلا يطلب من هامان أن يمكنه ليبلغ الأسباب (جمع سبب):

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ۝٣٧﴾ [غافر: 36-37]

ومما لا شك فيه – عندنا- أنّ فرعون قد طلب من هامان أن يبني له صرحاً أفقياً ليصعد إلى الأعلى لظنه – كما يقول موسى- أن الإله في السموات، أي في الأعلى.

وربما يؤكد فهمنا هذا هو أن من كان بحاجة إلى الحركة إلى السماء فعليه أن يرتقي في الأسباب، ومن هنا جاء قول الحق:

- ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠﴾ [ص: 10]

فالأسباب (ومفردها سبب) هي – حسب فهمنا لهذه النصوص- الطريق الفضائية بين السماء والأرض، ومن أراد أن يسلكها فعليه أن يرتقي إلى الأعلى، وقد يرد البعض بالقول: هل وردت مفردة "سبب" بصيغة المفرد في القرآن الكريم لتدل على الطريق الفضائية؟ الجواب: نعم، ولنتدبر قوله تعالى:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ [الحج: 15]

إن مراد القول هو أن الحركة بالأسباب (ومفردها سبب) هي حركة خارج نطاق الحركة الأرضية (أي حركة ارتقاء)، لهذا جاء قول الحق على النحو التالي:

- ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء: 93]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أنه عندما كان ذو القرنين يتبع سببا كان يرتقي في السماء، فيتنقل بالطرق الفضائية (أي يتبع سببا)، لذا كانت حركته – كما يبينها القرآن الكريم- غاية في السرعة، فبلغ مغرب الشمس وبلغ مطلع الشمس وبلغ بين السدين وكأن ذلك يحصل بين ليلة وضحاها، ولو لم يكن يتبع سببا لما استطاع القيام بذلك بتلك السرعة والقوة التي يصوّرها النص القرآني.

ما يهمنا هنا هو إنّ الفهم أن ذا القرنين كان يتبع سببا (أي يسلك طريقاً فضائية) يمكننا من الفهم الحقيقي للآيات الكريمات، فالحركة بطريقة " أَتۡبَعَ سَبَبًا " يخرجه من نطاق الكرة الأرضية، وبالتالي يخرجه من نطاق اختلاف مغارب الشمس ومطالعها، وبالتالي فهو سيصل إلى مغرب واحد للشمس ومطلع واحد للشمس كما وردت بصريح اللفظ القرآني

الدليل الثاني

أما الدليل الثاني الذي نقدمه لإعادة تغليف قصة ذي القرنين بأفهام جديدة فيأتي من طلب القوم ورده عليهم، أما طلب القوم فقد جاء في قوله تعالى:

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

وجاء رده على النحو التالي:

- ﴿... أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: 95]

فلماذا لم يجعل ذو القرنين بينهم سداً كما طلبوا؟ لقد جاء الجواب من ذي القرنين واضحا:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ ... ٩٥﴾ [الكهف: 95]

نعم لقد مكن الله ذا القرنين بشيء خير من طلبهم ذلك، فجاءت تكملة الآية الكريمة على نحو:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥﴾ [الكهف: 95]

نعم، إن ما فعله ذو القرنين هو الردم، لكن ردم ماذا؟ ما الذي ردمه ذو القرنين؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ذا القرنين قد ردم السبب، أي الطريق الفضائية التي يستطيع من خلالها أن تصل يأجوج ومأجوج إلى الأرض لتفسد فيها، لقد أغلق ذو القرنين بما مكّنه الله فيه الطريق التي بدونها لن تستطيع يأجوج ومأجوج الوصول إلى الأرض، ومن ذلك الوقت ويأجوج ومأجوج يموج بعضهم ببعض لعدم قدرتهم الوصول إلى الأرض. ولكن متى ستفتح يأجوج ومأجوج؟

لا شك أن القرآن الكريم يثبت أن يأجوج ومأجوج سيبقى بعضهم يموج في بعض حتى قبيل النفخ في الصور:

- ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝٩٨ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ [الكهف: 98-99]

وتتأكد الصورة نفسها في موطن آخر من كتاب الله،، فلقد ورد الحديث عن يأجوج ومأجوج في سورة الأنبياء على النحو التالي:

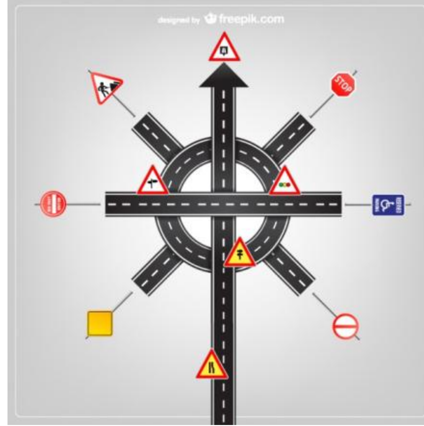
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: 96-97]

إن ما يهمنا قوله هنا هو أن الفتح على يأجوج ومأجوج لن يتحصل إلا مع اقتراب الوعد الحق كما في هذه الآية الكريمة أو قبيل النفخ في الصور كما في آية الكهف السابقة. ونحن نتساءل هنا عن المكان الذي يمكن أن يتواجد فيه يأجوج ومأجوج (على كثرتهم وبطشهم كما يصورها القرآن الكريم) ولا يتم لهم الخروج منه إلا مع اقتراب الوعد الحق (أو النفخ في الصور). إن أبسط ما يمكن أن نخرج به من هذا الفهم هو استحالة أن يكون مأجوج ومأجوج قد خرجوا من موطنهم ذاك كما صورتها بعض التفسيرات السابقة للنص القرآني. أو احتمالية وجودهم في مكان ما على سطح الأرض بعد أن تجلت الأرض بكليتها للناس مع هذا التقدم الهائل في الاستكشاف والبحث.

الدليل الثالث

وهنا نتوقف مع القارئ الكريم على جزئية مهمة في الآيات التي تصور خبر يأجوج ومأجوج كما وردت في سورة الأنبياء وهي قول الحق " وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"، لنسأل: كيف سينسل يأجوج ومأجوج من كل حدب. إن الفهم السابق الذي ظن أن يأجوج ومأجوج هم قوم على هذه الأرض لا يمكن أن يتماشى مع هذه العبارة القرآنية، فكيف يمكن لقوم موجودون في مكان محدد على وجه الكرة الأرضية أن ينسلوا من

كل حدب؟ صحيح أنهم قد يذهبوا في كل اتجاه، فتلك وجهتهم. ولكننا نتساءل عن مصدر خروجهم، فلا يمكن أن يأتوا من كل حدب (جهة) إن كانوا متواجدين أصلاً في مكان محدد على سطح هذا الكوكب كما في التصوير التالي:



ولكن لننظر الآن إلى الفكرة التي نحاول الترويج لها وهي أن يأجوج ومأجوج هم قوم متواجدون خارج نطاق الأرض، وهم سيأتونها من كل حدب متى فتحت طريقهم (أي سببهم). إن هذا الافتراض يحل الإشكالية برمتها، لأن من كان خارج نطاق الأرض يمكن أن يصل إليها من كل اتجاه كما في التصوير التالي:



ثم لننظر إلى الدقة القرآنية التي تصف الحركة على شكل حدب "وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"، فكيف ستكون الحركة من مكان على سطح الأرض إلى مكان آخر على سطح الأرض؟ الجواب لا يمكن أن تكون على شكل حدب، ولكن كيف يكون الانتقال بالطرق الفضائية؟ الجواب إن الحركة من الفضاء الخارجي إلى مكان آخر لا يمكن أن تتم إلا بطريقة الحدب (ولتسهيل الفكرة ما على القارئ الكريم إلا أن يتصور عملية هبوط أو إقلاع الطائرة). فنحن نفهم أن الحركة الفضائية مهما كانت لا تتم إلا بطريقة الأحداب.

ما يهمنا في هذا الطرح هو التالي: عندما يتحصل فهم جديد لما في كتاب الله لا بد من ترك والتخلي عن ما فهمه أسلافنا، فكثير من علمائنا الإجلاء يضفون شيئاً من القدسية (وإن لم يقولوها صراحة) عندما

لا يتنازلون عن ما قاله الأقدمون لا لشيء وإنما لظنهم أن أولئك القوم هم الأقدر على فهم ما جاء في كتاب الله.

السؤال المربك: من هم يأجوج ومأجوج أصلا؟

هذا ما سنتناوله في الجزء القادم من هذه المقالة بحول الله وتوفيقه.

فالله وحده أسأل أن يعلمنى ما لم أكن أعلم إنه هو السميع العليم – آمين

المدكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح



قصة يأجوج ومأجوج

الجزء الثاني



قصة يأجوج ومأجوج – الجزء الثاني

حاولنا في الجزء السابق من هذه المقالة تمرير افتراءنا بأن ذا القرنين لم يبني للقوم سدا كما ربما يظن القارئ غير المتدبر لمفردات كتاب الله، وإنما جعل للقوم ردما. فالقوم هم من طلبوا منه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا:

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

ولكن جاء رد ذي القرنين على طلبهم ذاك بأن الله قد مكّنه بما هو خير، فجعل بينها ردما بعد أن أعانوه بقوة:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: 95]

لذا كان طلبنا من سادتنا العلماء أهل الدراية هو أن نبحث جميعا عن الردم الذي جعله ذو القرنين وليس عن السد الذي طلبه القوم منه.

كما حاولنا تمرير ظننا الآخر بأن رحلة ذي القرنين كانت رحلة فضائية بين السماء والأرض، واستنبطنا ذلك (ربما مخطئين) من مجمل الآيات الكريمة (كما فهمناها) التي تتحدث عن إتباع السبب التي وردت ثلاث مرات في معرض قصة ذي القرنين نفسها

- ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ [الكهف: 85-86]
- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾ [الكهف: 89-90]
- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 92-93]

فزعمنا الظن مفترينه من عند أنفسنا بأن الحركة بإتباع السبب (أَتۡبَعَ سَبَبًا) هي حركة انتقال بين السماء والأرض كما تصور ذلك (نحن نفتري القول) الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: 36-37]
- ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾ [ص: 10]

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: 15]

فكان مراد القول حينئذ هو أن الحركة بالأسباب (ومفردها سبب) هي حركة خارج نطاق الكرة الأرضية (أي حركة ارتقاء)، لهذا ربما (نحن نظن) جاء قول الحق على النحو التالي:

- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: 93]

فمن أراد الرقي في السماء فهو يستطيع فعل ذلك ولكن بشرط أن يسلك الأسباب (أي الطرق) التي تربط السموات بالأرض:

- ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ [ص: 10]

فالحركة من السماء إلى الأرض والعكس ليست حركة عشوائية كما قد تبدو للوهلة الأولى، لأن هناك طرقا محددة (وهي الأسباب) لابد من إتباعها لمن أراد أن يرتقي فيها.

فكانت النتيجة التي خلصنا إليها هناك هي أن ذا القرنين الذي مُكّن له في الأرض (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ) كان يتبع سببا (أي يسلك طريقاً فضائية)، فكان يستطيع أن يتحرك خارج نطاق الكرة الأرضية (من الأرض إلى السماء والعكس) لأنه كان يستطيع أن يرتقي في الأسباب، وبالتالي كان هذا يخرجه من نطاق اختلاف مغارب الشمس ومطالعها، وبالتالي فهو سيصل إلى مغرب واحد للشمس ومطلع واحد للشمس كما وردت بصريح اللفظ القرآني. ولكنه كان يعود إلى موطنه الأصلي وهو الأرض مادام أن التمكين قد حصل له فيها:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 83-84]

لذا بقي أن نحاول الإجابة (ضمن هذا الإطار الجديد للقصة المفترى من عند أنفسنا) عن التساؤلات المثيرة التالية:

⇐ من هم يأجوج ومأجوج الذين منعهم ذو القرنين عن الإفساد في الأرض؟
⇐ وكيف فعل ذلك؟
⇐ وأين مكان تواجدهم الحقيقي؟
⇐ ومتى كان زمان تواجدهم؟
⇐ وهل سيخرجون مرة ثانية؟
⇐ ومتى سيكون ذلك؟

هذا ما سنحاول النبش فيه في هذا الجزء الجديد من المقالة، على نعاود البحث عن إجابات للتساؤلات الأخرى التالية في الجزء الثالث من المقالة نفسها بحول الله وتوفيقه:

- ⇐ من هو ذو القرنين؟
- ⇐ لم جاء ذكره في كتاب الله؟
- ⇐ لماذا سُمّي بذي القرنين؟
- ⇐ كيف استطاع أن يتبع الأسباب؟
- ⇐ هل كان هو فقط من يستطيع بلوغ الأسباب؟ فما بال فرعون إذن يطلب من هامان بناء الصرح لبلوغ الأسباب؟
- ⇐ وكيف فعل فرعون ذلك؟
- ⇐ وما وجه الشبه بين فرعون وذي القرنين؟
- ⇐ ولماذا طلب فرعون بناء الصرح على وجه التحديد؟
- ⇐ وما هو الصرح الذي بناه هامان لفرعون؟
- ⇐ وهل فعلا اطلع فرعون بعد أن بني له ذلك الصرح على إله موسى؟
- ⇐ وهل كان فرعون هو فقط من بُني له صرح؟
- ⇐ ألم يكن لسليمان أيضا صرحا؟
- ⇐ فما وجه الشبه بين صرح فرعون وصرح سليمان؟
- ⇐ ألم يكن لسليمان ملكا عظيما؟
- ⇐ لم كان ملك سليمان عظيما مقارنة بملك من سيأتي بعده؟
- ⇐ وكيف يمكن أن يتشابه ملك سليمان بملك من كان قبله كذي القرنين مثلا؟
- ⇐ ألم يؤتي سليمان من كل شيء؟
- ⇐ ألم يؤتي ذي القرنين من كل شيء سببا؟
- ⇐ فما الفرق بين ما أوتي لذي القرنين وما أوتي لسليمان؟
- ⇐ الخ.

(دعاء: فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأسأله من الخير الذي بيده ما لا ينبغي لأحد بعدي إنه هو العليم الحكيم،

وأن يجعل فضله وحده عليّ وعلى أهلي عظيما، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الخبير - آمين)

أما بعد،

السؤال الأول: من هم يأجوج ومأجوج؟

افتراء خطير جدا من عند أنفسنا: نحن نفتري القول بأن يأجوج ومأجوج ليست من كائنات الأرض أصلا، وإنما كانت تأتي للأرض من أجل الإفساد فيها فقط، فهي كائنات فضائية لا تعيش ولا تتكاثر على سطح الكرة الأرضية. ونحن نجد الدليل على ذلك مما نفهمه من الآية الكريمة التالية، خاصة من عبارة (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ):

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

منطقنا المفترى: نحن نظن أنه لو كانت يأجوج ومأجوج من مخلوقات الأرض لما اضطر القوم أن يقولوا لذي القرنين بأن يأجوج ومأجوج مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ، وذلك لأن هذا يصبح من بديهيات الفهم. فإذا كان الولد مثلا قد أحدث خرابا في بيت والده فيكفي الأم (نحن نظن) أن تحدِّث والد الطفل عندما يعود إلى البيت في نهاية اليوم عن ذلك الخراب الذي أحدثه ولده بحد ذاته دون أن تذكر بصريح اللفظ مكان إحداثه (وهو البيت). ولكن لو حصل أن أحدث ذلك الولد خرابا في بيت غير بيت والده، لربما اضطرت الأم أن لا تكتفي بالحديث عن الخراب الذي أحدثه ولدها فقط، ولربما أصبح لزاما أن تحدِّث والد الطفل عن المكان الذي حصل فيه فعل التخريب من قِبَل ولده، كأن تقول مثلا أن ولدها قد كسر باقة الزهور (the vase) في بيت الجيران أو في بيت خالته (ما دام أن الأم عادة ما تفضل زيارة أخواتها ثم تعود تحدث زوجها بمقدار الكرم الأسطوري الذي وجدته هناك! وبمقدار تسامح أختها وأهل بيتها مع أطفالها وفرحتهم بزيارتها لهم بغض النظر عن حجم الخراب الذي لحق بهم جراء تلك الزيارة – من يدري؟!).

إن مراد القول هو أنه مادام أن القوم قد ذكروا صراحة لذي القرنين بأن يأجوج ومأجوج مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، فنحن نستنبط (ربما مخطئين) بأن يأجوج ومأجوج كانوا يأتون إلى الأرض من مكان آخر (غير الأرض أو على الأقل غير أرضهم) ليفسدوا فيها ثم يعودون أدراجهم بعد أن يحدثوا فيها من الفساد ما يشاءون:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ [الكهف: 93-98]

نتيجة مهمة جدا: لم يكن يأجوج ومأجوج من سكان بين السدين أو دونهما، لأن القوم الذين طلبوا من ذي القرنين التصدي لخطر يأجوج ومأجوج هم من كانوا يسكنون من دون السدين:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾ [الكهف: 93]

وهنا نتوقف مع ملحوظة نظن أنها غاية في الأهمية من أجل فهم تفاصيل القصة الحقيقية وهذه الجزئية الجديدة تخص مكان سكان أولئك القوم الذين اشتكوا لذي القرنين بعد أن ضاقوا ذرعا بالفساد الذي كان يحدثه فيهم يأجوج ومأجوج، لنطرح التساؤل التالي: أين كان يسكن أولئك القوم الذين وجدهم ذو القرنين والذين لا يكادون يفقهون قولا؟

الفكر السائد: غالبا ما ظن الناس بأن هؤلاء القوم هم من سكان بين السدين (الذين غالبا ما ظن أهل الدراية أنهما جبلان – ومن أراد المجادلة فينظر في بطون أمهات كتب التفسير).

رأينا: أما نحن، فإننا نظن أن ذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة لأن القوم لم يكونوا (بصريح اللفظ القرآني) يسكنون بين السدين وإنما كان يسكنون من دون السدين، والذي كان متواجدا بين السدين هو ذو القرنين نفسه. وانظر – إن شئت- في الآية الكريمة نفسها مرة أخرى:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾ [الكهف: 93]

نتيجة 1: كان ذو القرنين هو من بلغ بين السدين (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ)

نتيجة 2: كان القوم الذين وجدهم ذو القرنين متواجدين دون السدين (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا)

السؤال: وما الفرق؟

رأينا المفترى: إذا كان هؤلاء القوم الذين وجدهم ذو القرنين في رحلته الثالثة يسكنون بين سدين (كما قد يتخيل القارئ للآيات الكريمة للوهلة الأولى) فلِم طلبوا من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا آخر؟ ولِم لم يقوموا هم ببناء السد الذي يريدون بأنفسهم؟ ألم يكونوا هم من بنوا السدّين السابقين؟ ولماذا بنوا سدّين من ذي قبل أصلا؟ ولم لم يمنع السدّان السابقان يأجوج ومأجوج عنهم؟ فهل كان هذا السدّ الثالث (الذي طلبوه بأنفسهم من ذي القرنين) سيكف أذى يأجوج ومأجوج عنهم لو أن ذا القرنيين قام ببنائه لهم؟ وكيف سيتم لهم ذلك؟ والسؤال الأخطر هو: وما بال الجهة الرابعة التي لم ولن يبنى فيها سدّ؟ ألن يصبحوا محصنين من جهات ثلاث فقط مادام أن النتيجة ستكون وجود ثلاث سدود لو أن ذا القرنين قام ببناء سد ثالث لهم؟ ثم ألن تكون الجهة الرابعة التي لم يبنى فيها سدّ منطلقا ليأجوج ومأجوج ليدخلوا عليهم منها؟ ولماذا؟

السؤال المربك لنا: كيف يمكن أن نتصور المشهد إذن في ضوء وجود ثلاث سدود فقط لو أن ذي القرنين نفذ طلبهم ببناء سد ثالث لهم؟

افتراء 1: كان ذو القرنين هو من بلغ بنفسه بين السدين (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ)

افتراء 2: نحن نفتري الظن بأن القوم لم يكونوا يسكنون بين السدّين ولكنهم كان يسكنون من دون السدين: حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا

افتراء 3: نحن نفتري الظن أنه لو كان القوم يسكنون بين سدّين (كما قد يتصور البعض) لربما احتاجوا إلى سدّين آخرين ليحصنوا أنفسهم من الجهات الأربعة وليس سدا واحدا كما طلبوا من ذي القرنين لأن النتيجة ستكون وجود ثلاث سدود من جهات ثلاثة، وستبقى الجهة الرابعة غير محصنة بسد لصد خطر يأجوج ومأجوج عنهم.

افتراء 4 خطير جدا جدا: مادام أن القوم قد طلبوا سدا ثالثا فقط، ومادام أنهم يسكنون من دون السدين، فنحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن السدين الأولين كانا فوقهما وليس أمامهما وخلفهما كما قد يتخيل القارئ للنص القرآني للوهلة الأولى، لأنه لو كان الأمر على تلك الشاكلة لربما جاء النص القرآني (نحن نظن) على نحو أن السدين كانا من بين أيديهما ومن خلفهما:

- ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩﴾ [يس: 9]

السؤال: ما هي الاتجاهات التي يجب أن نتحصن منها؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الاتجاهات أربعة وهي:

1. من بين أيدينا
2. من خلفنا
3. عن اليمين
4. عن الشمال

الدليل

لنقرأ الآية الكريمة التالية، ثم نحاول بعد ذلك ربطها بقصة السدين:

- ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 17]

نتيجة مفتراة: نستنتج أن الخطر، إذا ما كان قادما إلينا (نحن البشر)، فعلينا أن نحصّن أنفسنا منه من الجهات الأربعة وهي: (1) من بين أيدينا ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ و (2) من خلفنا وَمِنْ خَلْفِهِمْ و(3) عن أيماننا وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ و(4) عن شمآئلنا وَعَن شَمَآئِلِهِمْ مادام أن الخطر الداهم قادمٌ إلينا من جهة أرضية.

السؤال: هل كان خطر يأجوج ومأجوج قادما إليهم من جهة أرضية؟

رأينا: كلا، لأن ذلك كان (نحن نرى) يتطلب منهم بناء أربعة سدود: من بين أيديهم ومن خلفهم وعن يمينهم وعن شمالهم. ولربما جاء طلبهم من ذي القرنين أن يبني لهم سدين آخرين بدلا من سد واحد فقط.

السؤال: من أين كان الخطر قادما إليهم إذن؟

جواب مفترى: من الأعلى.

السؤال: وأين كانا السدان السابقان بالنسبة للقوم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: كان السدان السابقان موجودين فوقهم مادام أن القوم كانوا متواجدين دونهما:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

تخيلات: نحن نتخيل أن القوم كان يتهددهم خطر يأجوج ومأجوج القادمين إليهم من الفضاء الخارجي، فقاموا ببناء سد فوقهم ليصد عنهم خطر يأجوج ومأجوج، فما نجح ذلك، فقاموا ببناء سد آخر فوق السد السابق، أكبر وأشد من سابقة، لنفس الغرض، إلا أن ذلك لم ينجح في صد خطر يأجوج ومأجوج (وإن كان ربما قلّل منه) وإلا لربما أدى ذلك إلى فنائهم جميعا. وعندما قَدِم إليهم ذو القرنين، ووصل بنفسه (أي بلغ ذو القرنين) بين السدين في الفضاء:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

راءوا بأم أعينهم أن هذا البطل القادم إليهم من بعيد يمتلك من أسباب القوة ما لم يكن لهم:

- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾ [الكهف: 84]

هناك طلب القوم منه (بما آتاه الله من أسباب القوة) أن يبني لهم سدا ثالثا ربما يكون أكثر منعة من سابقيه (أي السدين السابقين اللذين بناهما القوم من ذي قبل بأنفسهم).

نتيجة مفتراة 1: كان ذو القرنين هو من بلغ بين السدين وليس القوم (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ)

نتيجة مفتراة 2: لم يكن القوم يسكنون بين السدين (كما ربما يتخيل البعض) ولكنهم كانوا يسكنون دون السدين وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا.

السؤال: ما معنى أن يكون القوم متواجدون دون السدين؟ فكيف يمكن أن نتخيل المشهد؟

رأينا: نحن نتخيل أن هناك قوما (ممن لا يكادون يفقهون قولا) كانوا يسكنون في مكان ما على الأرض، وكان يتهددهم خطر يأجوج ومأجوج، فقاموا ببناء سدين اثنين فوقهم لصد هذا الخطر الداهم عليهم، فأصبحوا هم أنفسهم دون السدين:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

الدليل

أولا، نحن نزعم الفهم بأن من كان متواجدا دون شيء آخر، فهو معزول عنه بفاصل مكاني من المسافة الجغرافية، فهذا موسى مثلا يصل ماء مدين فيجد عليه أمة من الناس (الرجال) يسقون، ولكنه في الوقت ذاته يجد من دونهم امرأتين تذودان:

- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ [القصص: 23]

لذا يستحيل أن نتخيل أن المرأتين كانتا مختلطتان بالرجال الذي يسقون على ماء مدين، بدليل أنهما كانتا تذودان. لذا كان - لا شك عندنا- فاصل مكاني من المسافة الجغرافية (بغض النظر عن حجمها) بين المرأتين اللتان كانتا تذودان من جهة والقوم الذين كانوا يسقون من جهة أخرى.

ثانيا، عندما نتخيل قوما من دون قوم آخرين، فإن المسافة قد تكون بعيدة بعض الشيء، فأنت عندما تقاتل قوما، فأنت - بلا شك- في مواجهة مباشرة معهم، وهم في مواجهة مباشرة معك، أليس كذلك؟ ولكن ما بالك بمن هم دون من تقاتلهم مباشرة؟ ألن يكونوا بعيدين عن متناول يدك في لحظة القتال:

- ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال: 60]

لتصبح الصورة في حالة القتال على النحو التالي:

أنت :: القوم الذين تقاتلهم ____ القوم الذين من دونهم

فيصبح القوم الذين تقاتلهم مباشرة يشكلون حاجزا بينك وبين القوم الآخرين الذين من دونهم (وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ). فلن تستطيع أن تصل إلى هؤلاء بسهولة مادام أن القوم الذين تقاتلهم مباشرة يشكلون حاجزا مانعا ليس من السهل اختراقه.

ثالثا: مادام أن هؤلاء القوم هم من دون القوم الذين تقاتلهم مباشرة، لذا قد تصبح مسألة الرؤية بالعين المجردة متعذرة بعض الشيء فيصعب حصول العلم عندك بهم:

- ﴿... وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ... ٦٠﴾ [الأنفال: 60]

لأن القوم الذين تقاتلهم مباشرة أصبحوا يشكلون سدا حاجزا للرؤية المباشرة، ليصبح علمهم عند الله وحده. وهذه الصورة الذهنية في عدم وضوح الرؤيا البصرية لمن هم من وراء سد جلية في النص القرآني التالي:

- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس: 9]

لتكون النتيجة على نحو أنه في حال وجود السد تصبح مسألة الرؤية البصرية متعذرة بعض الشيء.

رابعا: عندما نتخيل شيئا دون شيء آخر، فلابد أن يكون الذي من هو من دون الآخر أقل في الارتفاع من الآخر نفسه، ففي قصة ذي القرنين نفسها نجد الآية الكريمة التالية التي سبقت قصته مع القوم الذين وجدهم دون السدين:

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: 90]

فالقوم الذين وجدهم ذو القرنين عندما بلغ مطلع الشمس كانوا دون الشمس نفسها، أي كانت الشمس (نحن نتخيل) مرتفعة عنهم، وكانوا هم دونها، أي أقل في الارتفاع منها، أليس كذلك؟

لذا نحن نتخيل أن مريم ابنت عمران كانت تسكن في الحجاب دون قومها، وذلك لأنها كانت (نحن نتخيل) في خلوة أرضية تحت المحراب الذي كانت تقنت وتسجد وتركع لربها مع الراكعين:

- ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 17]

فالمحراب هو المكان الذي كان يدخل عليها زكريا فيه ليجد عندها رزقا:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 37]

وهو نفسه الذين كان يصلي فيه زكريا:

- ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: 39]

وهو الذي خرج على القوم منه:

- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: 11]

ولا شك – عندنا- أن المحراب كبناء (كما نفهمه من النص القرآني) يجب أن يكون مرتفعا عن سطح الأرض وذلك لأن القوم قد تسوّروه في حالة داوود:

- ﴿۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ [ص: 21]

ولكن مريم كانت قد اتخذت من دون القوم جميعا حجابا، وهو الذي جاءها فيه رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا:

- ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم: 17]

وفكرة العلو (مقابل الانخفاض) هذه التي نفهمها من عبارة (مِن دُونِ) واضحة في جميع السياقات الخاصة بالذات الإلهية وبمن هم دونه التي ترد كثيرا في النص القرآني، نذكر منها على سبيل المثال الآيات الكريمة التالية:

- ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف: 15]
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: 62]
- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٦﴾ [الزمر: 36]

السؤال: ما علاقة هذا كله بقة القوم الذين وجدهم ذو القرنين من دون السدين؟

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾ [الكهف: 93]

تخيلات مفتراة

نحن نتخيل أن قوما لا يكادون يفقهون قولا كانوا يسكنون الأرض، وكان خطر يأجوج ومأجوج (المفسدين في الأرض)، القادمين من الفضاء الخارجي، يتهددهم على الدوام، فقاموا (كردة فعل طبيعية) ببناء سد فوقهم (وأصبحوا هم دونه) ليصد هذا الخطر الداهم عنهم، فاستطاعوا أن يخففوا من الخطر ولكنهم لم يستطيعوا إيقافه تماما، فكرروا المحاولة ببناء سد آخر فوق السد القديم مرة أخرى، فأصبحوا هم متواجدين دون السدين (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا). فنجحوا في تقليل خطر يأجوج ومأجوج مرة أخرى إلا أنهم لم ينجحوا (نحن لا زلنا نتخيل) في إيقافه تماما. فكانت تلك التكنولوجيا (أي تقنية بناء السدود) هي الوسيلة التي ظنوا أنها ستنقذهم من خطر يأجوج ومأجوج.

ما أن قَدِم إليهم ذو القرنين، ووصل بنفسه (في الفضاء) بين السدين اللذين بناهما القوم سابقا لصد يأجوج ومأجوج (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) حتى طلبوا منه أن يساعدهم للخروج من محنتهم هذه، مقدّمين في الوقت ذاته الخراج (وبالتالي الطاعة) لحكم هذا البطل الغريب القادم إليهم من مكان آخر، فما استطاع القوم التفكير حينئذ بأكثر من تكنولوجيا بناء السدود نفسها التي اعتادوا عليها، فجاء طلبهم منه على نحو بناء سد ثالث ربما يكون أكثر متانة وأشد حصانة من سابقيه:

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

ولو تدبرنا الآية التي تصور رد ذي القرنين على طلبهم مباشرة لوجدنا أنها (ربما) تدعم ظننا هذا. فذو القرنين يرد على النحو التالي:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: 95]

السؤال: لماذا قال ذو القرنين بأن الله قد مكنه بما هو خير من طلبهم (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ)؟

جواب: لا شك عندنا أن الخيرية تعني المفاضلة بين طرفين كما ترد في كثير من آيات الكتاب الحكيم، نذكر منها على سبيل المثال الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾ [النساء: 66]

السؤال: ما الشيئان اللذان كان يفاضل بينهما ذو القرنين بالخيرية (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ)؟

رأينا المفترى: إنها (نحن نظن) التكنولوجيا المستخدمة في صد الخطر الداهم من الفضاء الخارجي

تخيلات: عندما طلب القوم من ذي القرنين بناء سد لصد خطر يأجوج ومأجوج عن الفساد في الأرض، كان ظنهم أن الطريقة الأمثل لفعل ذلك هي تقنية بناء السدود، فهم قد بنوا سدا من ذي قبل، وهم قد بنوا سدا آخر من ذي قبل، فأصبح عندهم سدان قبل قدوم ذي القرنين إليهم:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

فلقد وصل ذو القرني إليهم وقد كان هناك سدان قائمان من ذي قبل.

فكان القوم يظنون أن الخير في تقوية وتدعيم تكنولوجيا بناء السدود. وهنا كانت (نحن نفتري القول) المفارقة الأولى في رد ذي القرنين والمتمثلة برفض التكنولوجيا المستخدمة عندهم والتي لا شك يعرفونها جيدا (وهي بناء السدود) ونقل الأمر إلى تكنولوجيا جديدة تماما هم لا يعرفونها إطلاقا وهي تكنولوجيا هدم السبب (جمع أسباب). ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نفهم تكملة الآية الكريمة التي جاءت على لسان ذي القرنين في رده على طلبهم السابق:

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ [الكهف: 95]

فجلّ ما طلب ذو القرنين فعله منهم هو أن يعينوه بقوة، ولكن هذه المرة من أجل جعل (أي إحداث) الردم وليس من أجل بناء سد ثالث.

نتيجة 1: كان القوم يظنون أن بناء سد ثالث فوقهم هو ما يمكن أن يحجز عنهم يأجوج ومأجوج حتى لا يصلون إلى الأرض فيفسدون فيها كما يفعلون على الدوام

نتيجة 2: جاء رد ذي القرنين متمثلا بأن الطريقة الأمثل لصد هذا الخطر الفضائي يتمثل في جعل الردم (أي هدم السبب) الذي يصل من خلاله يأجوج ومأجوج إلى الأرض ليفسدوا فيها وليس بناء سد ثالث أكثر متانة وأقوى منعة من سابقيه.

نتيجة 3: كان ما فعله ذو القرنين هو جعل الردم وليس بناء السد، فصد بذلك يأجوج ومأجوج فما عادوا يستطيعون الوصول إلى الأرض، لأنهم لم يستطيعوا أن يظهروه ولم يستطيعوا له نقبا:

- ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [الكهف: 97]

فتُرك (بذلك) بعضهم يموج في بعض:

- ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: 98-99]

حتى ذلك اليوم الموعود (عندما يقترب الوعد الحق) الذي سيستطيع فيه يأجوج ومأجوج أن يحدثوا النقب أو أن يظهروا على الردم فتفتح يأجوج ومأجوج من جديد:

- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [الكهف: 96-97]

تلخيص ما سبق: كان هناك قوم يسكون الأرض، وكان يتهددهم خطر يأجوج ومأجوج القادمين إليهم من الفضاء الخارجي لإحداث الفساد في الأرض، حاول القوم صد هذا الخطر الداهم ببناء سد فوقهم (وهم دونه) يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج، وكرروا المحاولة مرة أخرى، فبنوا بأنفسهم سدا آخر فوق السد السابق، فأصبح فوقهم سدان، وأصبحوا هم دونهما، فكان ذلك سببا في تخفيف خطر يأجوج ومأجوج وليس سببا في إيقافه. وبقوا على تلك الشاكلة حتى جاء إليهم ذو القرنين في رحلته الثالثة، فبلغ بين السدين في الفضاء، فهو لم ينزل إلى القوم على الأرض. ولمّا كان ذو القرنين متواجدا في الفضاء بين السدين، جرت المفاوضات بينه من جهة والقوم من جهة أخرى، فجاء طلب القوم منه يتمثل في أن يبني لهم سدا ليصد خطر يأجوج ومأجوج عنهم مقابل أن يجعلوا له خرجا (وبالتالي الخضوع لملكه وسيطرته). فقبل ذو القرنين عرضهم هذا باستثناء تعديل بسيط على الاتفاقية وهو أن الطريقة الخير لصد هذا الخطر الخارجي لا تتم

بتقنية بناء السدود التي يعرفها القوم وإنما هناك ما هو خير كما مكنه ربه فيه، فطلب من القوم أن يعينوه بقوة ليجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردما، أي ردم السبب (أو لنقل الطريق الفضائية) التي تربط السماء (موطن يأجوج ومأجوج) بالأرض (موطن القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا)، فلا يستطيع يأجوج ومأجوج الوصول إليهم مادام أن الطريق المؤدية إليهم قد ردمت.

والآن ندعوك – عزيزي القارئ- أن تقرأ القصة من كتاب الله من هذا المنظور المفترى من عند أنفسنا، لنترك لك مهمة المفاضلة (الخيرية) بين ما نفتريه نحن من قول من عند أنفسنا وما وصلك من علم من عند سادتنا العلماء أهل الدراية كما نقله لنا أهل الرواية في بطون أمهات كتب التفسير:

- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝٩٨﴾ [الكهف: 92-98]

أما بعد،

- ⇐ من هم يأجوج ومأجوج الذين منعهم ذو القرنين عن الاستمرار بالإفساد في الأرض؟
- ⇐ وأين مكان تواجدهم في الفضاء الخارجي؟
- ⇐ ومن هم القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا، الذين كان يتهددهم خطر يأجوج ومأجوج؟
- ⇐ وأين مكان تواجدهم الحقيقي على الأرض؟

أما بالنسبة ليأجوج ومأجوج، فنحن نفتري الظن من عند أنفسنا أنهم هم المخلوقات التي عاثت فسادا في الأرض ولم تكن أصلا من مخلوقات الأرض فترة طويلة من الزمن، وهم الذين توقف فسادهم في الأرض على يد ذي القرنين، وهم الذين سيعودون للفساد في الأرض من جديد عندما تفتح يأجوج ومأجوج من جديد، وسيكون ذلك علامة فارقة واضحة على اقتراب الوعد الحق.

السؤال المربك: من (أو ما) هي هذه المخلوقات إذن؟

رأينا المفترى الخطير جدا الذي نطلب من القارئ الكريم أن لا يصدقه ما لم يجد أن الدليل من كتاب الله يثبته، إنها عالم الديناصورات.

تصوراتنا المفتراة من عند أنفسنا

كان يا ما كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، كان هناك قوم يسكنون الأرض، وكانوا يعيشون في أمن واطمئنان حتى ذلك اليوم الذي جاءت مخلوقات من الفضاء الخارجي مختلفة الأشكال والحجم غازية أرضهم، كما في الأشكال التوضيحية التالية:



Source

وأخذت هذه الكائنات المخيفة تعيث فسادا في الأرض، فأصبح من المتعذر على أولئك القوم (سكان الأرض حينئذ) أن يتعايشوا (أي يتكيفوا مع تلك المخلوقات)، فلم يستطيعوا تدجينها، فبقيت معادية لهم، ومنافسة لهم على خيرات الأرض، فحاولوا صدّ خطرها بتقنية بناء السدود فوقهم، فبنوا سدين اثنين من فوقهم وكانوا هم من دونهما، فكان السدان سببا في تخفيف الخطر وإن لم يكن كافيا في منعه تماما. فبقيت تلك المخلوقات لفضائية تعيث في الأرض فسادا، حتى جاء ذلك البطل الغريب عن القوم وهو ما يسمى بذي القرنين، فقام (بما آتاه الله من سبب) بإيقاف تدفق الغرباء (يأجوج ومأجوج إلى الأرض)، فأوقف خطرهم عندما عمد إلى ردم السبب الذي كانوا يصلون الأرض من خلاله، فتركوا منذئذ يموج بعضهم في بعض. ومنذ تلك اللحظة لم تتمكن يأجوج ومأجوج من الوصول إلى الأرض من جديد، فبدأ فسادهم يقل شيئا فشيئا حتى كان يوم فناءهم جميعا عن سطح الأرض قاطبة.

السؤال: كيف حصل ذلك كله؟

رأينا المفترى: نحن نتخيل الموقف على النحو التالي: لما كانت الديناصورات (نحن نفتري القول من عند أنفسنا) كائنات غير أرضية لم تكن الأرض هي البيئة الملائمة لتكاثرهم، فكانوا يأتون إلى الأرض للإفساد فيها، ونهب خيراتها والعودة أدراجهم من حيث أتوا، فكانت الأرض مستودعهم وإن لم تكن مستقرهم. وكانوا يصلون الأرض بإتباع سبب ما (أي طريق فضائية محددة بذاتها)، وكان جل ما فعله ذو القرنين هو ردم ذلك السبب تماما، فلم تعد تلك الكائنات المخيفة قادرة على الوصول إلى الأرض من جديد. وهنا بدأت قدرة هذه الكائنات على الإفساد في الأرض تتهاوى، أي تقل. فكيف حصل ذلك؟

رأينا المفترى: عندما قام ذو القرنين بردم السبب انقطع حبل الوصل (السبب) بين ديارهم الأصلية (مستقرهم) والأرض التي يفسدون فيها (مستودعهم)، فكان نتيجة ذلك أنهم انقسموا إلى فريقين اثنين:

1. فريق كان متواجدا على الأرض عندما ردم ذو القرنين السبب، فلم يستطيعوا العودة إلى بلادهم، وضلوا متواجدين على الأرض حتى هلكوا عن آخرهم هنا على الأرض
2. فريق كان لازال متواجدا في بلاده الأصلية عندما ردم ذو القرنين السبب فلم يستطيعوا الوصول إلى الأرض من جديد، فبقوا في ديارهم منتظرين فتح الردم الذي جعله ذو القرنين، وهم الذين سيعودون إلى الأرض كعلامة واضحة على اقتراب الوعد الحق.

قال تعالى:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ [الحج: 15]

نحن نستنبط من هذه الآية الكريمة أن السبب يمد (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) ويقطع (ثُمَّ لْيَقْطَعْ)، وبعدها يمكن أن يستطيع الراقي في السماء أن ينظر، وهذا ما سنتحدث عنه بإذن الله عندما نعرج على الأسباب التي بناها هامان بطلب من فرعون الذي كان يريد أن يطلع إلى إله موسى. فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم إنه هو الواسع العليم – آمين

تفنيد هذا الافتراء

بداية، نحن نجد لزاما التأكيد على موقفنا العقائدي الثابت الذي ما انفككنا نردده على الدوام أله وهو: هذه الافتراءات وغيرها هي لا شك من عند أنفسنا بناء على ما فهمناه نحن من مفردات الكتاب الحكيم، وهي لا تشكل بالضرورة الحقيقة المطلقة لما في كتاب الله، فنحن البشر قد نفهم وقد نسي فهم مفردات الكتاب الحكيم، لذا نحن نؤمن أن الحق هو ما جاء في كتاب الله، وأن الباطل هو ما افتريناه من عند أنفسنا دون دليل من كتاب الله يثبته، لذا يجب أن يفهم الجميع (خاصة المهتمين بتخريصاتنا هذه) بأن ما نطرحه لا يتجاوز حدود عالم التنظير، أي وضع النظريات التي قد تصدق وقد تخطئ. ولمّا كان غيرنا (من بني الأصفر وغيرهم) ليسوا بأفضل حال منا، فإننا نجد أن الساحة ملائمة لطرح ما في جعبتنا من أفكار ونتركها لأهل المعرفة في حقول الاختصاص أن يمحصوها (إن هم أرادوا) مع تقدم الزمان واختلاف المكان، ووجود الدليل أو نفيه. لذا من أجل تفنيد هذه الافتراءات الخطيرة جدا التي قدمناها في هذا الجزء من المقالة والخاصة بنظريتنا المقترحة عن يأجوج ومأجوج، وافتراءنا بأنهم هم أنفسهم تلك الكائنات التي تعرض عند أهل المعرفة بعالم الديناصورات، فإننا نطرح على المنظرين في علم الديناصورات (dinosaur science أو Paleontology) التساؤلات التالية:

1. لماذا سميت هذه الكائنات بهذا الاسم (ديناصورات - Dinosaurs)؟
2. من أين جاءت الديناصورات؟
3. كم هي أنواع الديناصورات؟
4. كم لبثت هذه الكائنات على سطح الأرض؟
5. لماذا انقرضت مثل هذه الكائنات القوية جدا؟

6. كيف كانت آلية انقراضها؟
7. متى بدأت بالانقراض؟
8. متى كان آخرها؟
9. الخ

رأينا المفترى: نحن نظن أن باستطاعتنا تقديم إجابات (مما نفهمه من كتاب الله) على مثل هذه التساؤلات جميعا، ونطلب من كل من يعارضها أن يأتي بالبرهان إن كانوا صادقين.

أما بعد،

السؤال الأول: لماذا سميت تلك الكائنات بالديناصورات؟

جواب: نحن نظن أن التسمية جاءت من طبيعة فعل هذه الكائنات، فهي كائنات مخيفة بالنسبة لمن يواجهها كسكان الأرض، ومن يعرف الأصول الإغريقية لمفردة الديناصورات قد لا يجادل كثيرا في ذلك.

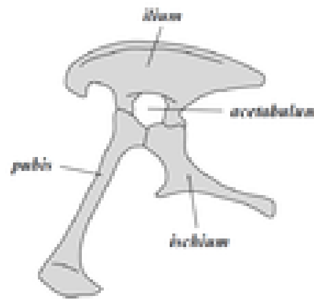
نتيجة مفتراة 1: الديناصورات كائنات مخيفة مهددة لسكان الأرض

السؤال الثاني: لماذا جاء النص القرآني على أنها يأجوج ومأجوج؟

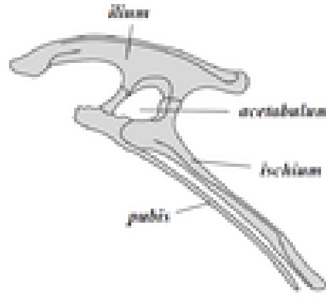
لم يأتي النص القرآني بمفردة واحدة جامعة لتلك المخلوقات؟ لم جاءت بمفردتين اثنتين؟

جواب مفترى: لأن هذه الكائنات تنقسم بشكل رئيسي إلى قسمين رئيسيين اثنين فقط، تترفع منهما تصنيفات كثيرة، فهم يأجوج ومأجوج، وهذا التصنيف يستند إلى طبيعة تكوين كل صنف منهما. ومن أراد المجادلة فليبحث في مؤلفات أهل العلم في هذا المجال، ونستميحه العذر مسبقا أن نقدم له ما وجدناه صدفة عندهم، فعالم الديناصورات بكل أشكالها وأنواعها ترجع جميعها (كما هو مثبت عند أهل العلم) إلى نوعين رئيسيين هما:

1. ما يسمى بـ Saurischia أو lizard-hipped ذات الشكل التوضيحي التالي:



2. وما يسمى بـ Ornithischia أو bird-hipped كما في الشكل التالي:



السؤال الثالث: لماذا انقرضت الديناصورات في فترة زمنية قصيرة جدا؟

جواب مفترى: لعل من أكثر الأسئلة التي أربكت المتخصصين في علم الديناصورات هو الانقراض الفجائي السريع والكلي لهذه المخلوقات الضخمة المخيفة والقوية جدا. وقد قدم العلماء في هذا المجال نظريتين رئيسيتين، فانقسموا بذلك إلى فريقين متنافسين هما:

1. أصحاب نظرية الخطر الخارجي (*extrinsic catastrophists*)
2. أصحاب نظرية العوامل الأرضية الداخلية (*intrinsic gradualists*)

فالفريق الأول يظن أن خطرا خارجيا من خارج الأرض (كالنيازك) الضخمة التي ارتطمت بالأرض هي التي أدت إلى انقراض هذه الكائنات الضخمة العملاقة. أما الفريق الثاني فإنه يرى أن تغيرا في مناخات الأرض هي التي أدت إلى انقراض هذه الكائنات عندما لم تستطع أن تتكيف. ولكن الذي يدحض هاتين النظريتين بسهوله هو عدم إجابتهم على السؤال الرئيس وهو: لم كانت الديناصورات دون الكائنات الأخرى هي التي تضررت كليا بهذه العوامل سواء الخطر الكارثي الخارجي كالنيازك وغيرها أو العوامل الداخلية كالتغيرات المناخية؟ فلم تتأثر الكائنات الأخرى بهذه الأخطار لدرجة الانقراض كما حصل مع الديناصورات؟ يسأل كثيرا من أصحاب النظريات أنفسهم.

فالذي لازال يحيّر العلماء حتى الساعة هو كيف أن هذا الانقراض كان بالمفردات الأعجمية (severe, global, rapid, and selective).

السؤال الرابع: ما الدليل العلمي الذي يثبت أن الديناصورات كائنات غير أرضية؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن التركيب الكيميائي للديناصورات لابد أن يكون يحتوي على عناصر كيميائية غير متوافرة بكثرة على الأرض، ولا شك أن هذه العناصر هي التي بقيت بعد أن انقرضت تلك الكائنات الفضائية على الأرض، كما نفترض بأن هذه العناصر يستحيل أن توجد إلا متناثرة على القشرة الأرضية في طبقاتها العليا كمخلفات لهذه الكائنات بعد انقراضها، فهل هذا ممكن؟

جواب مفترى: لنسأل أهل الاختصاص عن هذا المركب الكيميائي الغريب عن الأرض وهو (iridium). فما هو هذا المركب الكيميائي؟ ومن أين مصدره؟

جواب: لعل العلماء يجمعون تماما على أن هذا العنصر يتواجد في باطن الأرض الملتهب (magma) أو في كواكب أخرى تكون درجات حرارتها مرتفعة جدا. ليكون السؤال الآن كيف يمكن تفسير

انتشار هذا العنصر الكيميائي على سطح الأرض في كل أصقاعها؟ أي كيف انتشر هذا المركب الكيميائي في كل مكان على سطح اليابسة؟

رأينا المفترى: إنه البقايا (أو أثارة العلم) التي تدل على وجود كائنات حية قادمة إلى الأرض من مكان بعيد.

السؤال الخامس: أين تواجدت الديناصورات؟

رأينا: نحن نظن أن عالم الديناصورات كان يهاجم الأرض بدليل قول القوم لذي القرنين:

- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ [الكهف: 94]

لذا نحن نستبعد تماما وجود ديناصورات (أو بقايا ديناصورات) في البحار العظيمة، وذلك لأن غزو الديناصورات كان للأرض، لذا نحن نفتري الظن أن ذلك قد حصل عندما كانت الأرض (أي اليابسة) لازالت كتلة واحدة، أي قبل أن يرتفع العرش، وتنقسم الكتلة اليابسة إلى قارات منفصلة عن بعضها البعض. (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان: سفينة نوح ونظرية تكون القارات).

إن هذا الافتراء الخطير جدا ينقلنا على الفور إلى طرح التساؤل التالي: إذا كان ما تقوله صحيحا، فمن هو ذو القرنين هذا؟ ومن هم القوم الذين طلبوا مساعدته لصد خطر يأجوج ومأجوج عنهم؟ متى حصل أخر انقراض لهذه الكائنات عن وجه الأرض قاطبة؟ وكيف كانت آلية انقراضهم؟

هذا ما سنتناوله (إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيه) في الجزء القادم من المقالة.

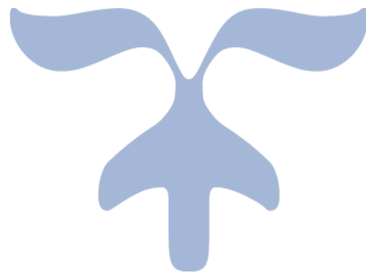
سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعل فضله وحده علينا عظيما. وأعوذ به أن نفتري عليه الكذب أو أن نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو السميع العليم - آمين.

المدّكرون: رشيد الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح
13 آب 2014



قصة يأجوج ومأجوج

الجزء الثالث



قصة يأجوج ومأجوج - الجزء الثالث

كان جلّ ما افتريناه في الجزء السابق من هذه المقالة هو أن يأجوج ومأجوج هم الذين نسميهم في عالم المعرفة الحديثة بالديناصورات، وأن هذه المخلوقات هي كائنات غير أرضية، قد غزت الأرض في غابر الزمان وعاثت فيها فسادا، وما توقف خطرهم إلا على يد ذي القرنين الذي استطاع أن يردم السبب (أي الطريق الفضائية) التي كانت تلك الكائنات تصل من خلالها إلى الأرض (للتفصيل انظر الأجزاء السابقة). ثم توقفنا في نهاية الجزء السابق عند طرح التساؤلات التالية:

⇐ من هم القوم الذين طلبوا مساعدته لصد خطر يأجوج ومأجوج عنهم؟
⇐ متى حصل آخر انقراض لهذه الكائنات عن وجه الأرض قاطبة؟
⇐ وكيف كانت آلية انقراضهم؟

وكنا قد وعدنا القارئ الكريم من ذي قبل أن نحاول النبش أكثر في قصة يأجوج ومأجوج علّنا نستطيع في هذا الجزء الثالث من المقالة (إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها) تقديم افتراءاتنا على التساؤلات المثيرة الكثيرة التالية:

⇐ من هو ذو القرنين؟
⇐ لم جاء ذكره في كتاب الله؟
⇐ لماذا سُمّي بذي القرنين؟
⇐ كيف استطاع أن يتبع الأسباب؟
⇐ هل كان هو فقط من يستطيع بلوغ الأسباب؟ فما بال فرعون إذن يطلب من هامان بناء الصرح لبلوغ الأسباب؟
⇐ وكيف فعل فرعون ذلك؟
⇐ وما وجه الشبه بين فرعون وذي القرنين؟
⇐ ولماذا طلب فرعون بناء الصرح على وجه التحديد؟
⇐ وما هو الصرح الذي بناه هامان لفرعون؟
⇐ وهل فعلا اطلع فرعون بعد أن بُني له ذلك الصرح على إله موسى كما جاء على لسانه عندما طلب ذلك من هامان؟

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38]
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 36-37]

⇐ وهل كان فرعون هو فقط من بُني له صرح؟

⇐ ألم يكن لسليمان أيضا صرحا؟

- ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [النمل: 44]

⇐ فما وجه الشبه بين صرح فرعون وصرح سليمان؟
⇐ ألم يكن لسليمان ملكا عظيما؟
⇐ لم كان ملك سليمان عظيما مقارنة بملك من سيأتي بعده؟
⇐ وكيف يمكن أن يتشابه ملك سليمان بملك من كان قبله كذي القرنين مثلا؟
⇐ ألم يؤتي سليمان من كل شيء؟
⇐ ألم يؤتي ذو القرنين من كل شيء سببا؟
⇐ فما الفرق بين ما أوتي لذي القرنين وما أوتي لسليمان؟
⇐ الخ.

(دعاء: فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأسأله من الخير الذي بيده ما لا ينبغي لأحد بعدي إنه هو العليم الحكيم، وأن يجعل فضله وحده عليّ وعلى أهلي عظيما، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الخبير - آمين)

أما بعد،

السؤال الأول: من هم القوم الذين وجدهم ذو القرنين دون السدين؟

جواب مفترى: إنهم القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا. وانظر – إن شئت- في قوله تعالى:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

السؤال: ما معنى أن هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون قولا؟ وما الذي يمكن أن نستنبطه من ذلك؟

باب: يفقهون

وردت مفردة يفقهون (ومشتقاتها) في القرآن الكريم في سياقات عديدة، فلنحاول أن نتدبر المفردة في سياقاتها الخاصة، سائلين الله أن يهدينا رشدنا، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم:

أولا، جاء الخطاب القرآني موجها للناس (بني آدم) علهم يستطيعون أن يفقهوه:

- ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء: 78]

ثانيا، كان الهدف من تصريف الآيات حتى يفقه الناس:

- ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: 65]

فكان تفصيل الآيات خاصا بالذين يفقهون:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: 98]

(دعاء: اللهم أسألك أن أكون من الذين يفقهون تصريف آياتك ومن الذين يفقهون تفصيل آياتك - آمين)

ثالثا، كان القلب هو أداة التفقه (إن صح القول):

- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: 127]

فكان مانع الكافرين والمنافقين عن التفقه هو تلك الأكنّة التي غطت على قلوبهم:

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: 25]
- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: 46]
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: 57]

(دعاء: أسألك رب أن لا تجعل على قلبي أكنة تمنعني أن أفقه آياتك - آمين)

ويتم ذلك بالطبع:

- ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: 87]
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: 3]

(دعاء: اللهم أعوذ بك أن أكون ممن طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون - آمين)

لذا، صعب على الكافرين أن يفقهوه:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: 65]

وكذلك كان حال المنافقين:

- ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: 81]
- ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر: 13]
- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون: 7]

مع اختلاف بسيط وهو أن المنافقين (على عكس الكافرين) قد يفقهون بعضه (أي قليلا منه):

- ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: 15]

رابعا، جاء الطلب الإلهي من طائفة من المؤمنين أن تنفر ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم:

- ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: 122]

خامسا، لمّا كان القلب هو أداة التفقه كان ذلك شاملا الجن والإنس، فالجن لها قلوب وللإنس قلوب، وقلوبهم جميعا قد تفقه وقد لا تفقه:

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179]

السؤال المربك: إذا كان للإنس والجن قلوب قد تفقه وقد لا تفقه، فما الفرق بين الإنس والجن في التفقه؟

أولا، نحن نؤمن أن كل شيء يسبح بحمد ربه، ولكننا جميعا لا نفقه تسبيحهم، أليس كذلك؟

- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: 44]

السؤال: لماذا لا نفقه تسبيحهم؟ فما الذي يمنعنا أن نفقه تسبيح كل شيء؟

جواب مفترى: لأننا لا نفهم قولهم (أي لغتهم)، أو لنقل الطريقة التي يسبحون بها. ولو فهمناها (نحن نظن) لاستطعنا أن نفقه تسبيحهم.

السؤال: هل نفقه نحن الناس قول بعضنا البعض؟

جواب: نعم

سؤال: ولكن هل نفقه كل قولنا عن آخره؟

جواب: ليس بالضرورة. فها هم قوم شعيب لا يفقهون كثيرا مما يقول الرجل:

- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ [هود: 91]

ولكن بالرغم أنهم لا يفقهون كثيرا مما يقول الرجل، إلا أنهم يفقهون (لا شك) بعضه، أليس كذلك؟

والآن لنعد بهذه الفكرة إلى قصة القوم الذين وجدهم ذو القرنين دون السدين، لنجد بأنهم قوم لا يكادون يفقهون قولا:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

السؤال: إذا كان هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون قولا، فهل يمكن أن يكونوا من الناس (الإنس)؟

رأينا المفترى والخطير جدا: كلا، فمادام أنهم لا يكادون يفقهون قولا، فهم إذن ليسوا من الناس، لأن الناس لا شك يفقهون القول وإن كانوا (نحن نفتري القول) قد لا يفقهون حديثا كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء: 78]

ليكون السؤال الذي يجب أن يطرح على الفور هو: ما الفرق بين أن تفقه القول وأن تفقه الحديث؟

الافتراء الخطير جدا الذي سنحاول تبيانه في الصفحات التالية هو التفريق بين القول والحديث والكلام:
الكلام: هو القول المنقول
القول: هو حرفية الكلام
الحديث: هو مراد القول

فالقرآن الكريم هو – لا شك عندنا- كلام الله:

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: 6]

لكن بالرغم أن القرآن الكريم هو كلام الله إلا أنه ليس بقول الله (أي كما نطق به الإله نفسه). وذلك لأن الإله (نحن نفتري الظن) لا يتحدث لغة بشرية، لذا جاءت مهمة كل رسول ليبلّغ قومه بلسانهم:

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: 4]

وكذلك كانت مهمة محمد أن يبلغ بلسان عربي مبين:

- ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: 193-195]

فكان القرآن الكريم هو (نحن نفتري القول من عند أنفسنا) قول محمد وليس قول الله (وإن كان كما قلنا آنفا هو كلام الله):

- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة: 38-47]
- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: 15-29]

السؤال: ما علاقة هذا بقصة القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا، ما الذي منعهم أن يفقهوا القول؟ وما الفرق بينا وبينهم في ذلك؟

جواب: ربما نستطيع نحن الإنس أن نفقه بعضه (كقول)، وقد لا نفقه كثيرا منه (كقول) كما كان حال قم شعيب مثلا. لذا نحن بحاجة أن نتفقه فيه، لكن المؤكد أنه حتى لو فقهنا بعض القول فقد لا نفقه حديثه:

- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: 78]

باب: حديثا

- ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: 42]

السؤال: كيف يمكن أن نفقه بعض القول وقد لا نفقه الحديث منه؟

رأينا المفترى: قد نقرأ الألفاظ، فنعرفها، وقد نتوقف عندها طويلا لنتدبرها، لكن بالرغم من ذلك كله، فإننا قد لا ندرك مرادها. فأنت قد تعرف مفردات الآية الكريمة، فتدرك القول فيها، ولكن قد يصعب عليك أن تربط بعضها ببعض حتى تدرك المراد منها.

مثال: الأعراف

سأحاول تقديم المثال هنا للتفريق بين "فقه القول" و "فقه الحديث"، والهدف هو تبيان كيف أننا نفشل في فقه الحديث حتى وإن فقهنا القول (أو بعضه)، والمثال الذي نقدمه هنا هو مفردة **الأعراف** التي وردت في النص القرآني أكثر من مرة.

أما بعد،

لعل القارئ للنص القرآني من أهل اللسان العربي يعرف مفردة "الأعراف" جيدا. وقد يستطيع الكثير منهم أن يردوها إلى جذرها (ع ر ف)، وهم لا شك يعلمون مشتقاتها، كما قد يستطيع بعضهم (خاصة أهل المنابر الإعلامية منهم) أن يحدث الناس عنها ساعات وساعات، وقد يتفنن في صياغة المعلومة التي تجذب المشاهد أو السامع فيلصقه بمجلسه حتى نهاية الحديث، لكن يبقى التساؤل المثير التالي: هل فهم أهل اللسان العربي قاطبة المراد من هذه المفردة كما وردت في السياقيين القرآنيين التاليين؟

- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: 46]
- ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: 48]

رأينا: كلا وألف كلا. نحن نكاد نجزم الظن (مفترينه من عند أنفسنا) بأن أهل اللسان العربي (على فصاحتهم المزعومة) وخاصة أهل الدراية منهم (على درجة علمهم الموهومة) قد أخفقوا في فهم هذه المفردة بعد تدارسها أربعة عشر قرنا من الزمن. كلام خطير أليس كذلك؟

السؤال: ما معنى هذه المفردة إن صح ما تزعم؟ يسأل صاحبنا مستغربا

رأينا: لكي نبين مرادنا فيها، دعنا نستعرض بداية ما جاء في بطون بعض أمهات كتب التفسير عنها، ثم نحاول تبيان الغلط الذي نظن أن أهل الدراية من سادتنا العلماء قد وقعوا فيه، فغابت الحقيقة المراد تجليتها في النص القرآني نفسه عن الناس قرونا طويلة، وهدفنا مرة أخرى هو التميز بين "فقه القول" من جهة و "فقه الحديث" من جهة أخرى.

الافتراء: نحن نفتري الظن هنا بأن أهل اللسان العربي عامتهم وخاصتهم لم يفقهوا الحديث المراد من مفردة الأعراف في الآيتين السابقتين وإن كانوا قد فقهوا بعض القول منها.

الدليل

لنتدبر- عزيزي القارئ- ما جاء في الطبري حول الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ [الأعراف: 46]

وبينهما حجاب

القول في تأويل قوله تعالى : { وبينهما حجاب } يعني جل ثناؤه بقوله : { وبينهما حجاب} وبين الجنة والنار حجاب , يقول : حاجز , وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال : { فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب } 57 13 وهو الأعراف التي يقول الله فيها : { وعلى الأعراف رجال } كذلك : 11389 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا عبد الله بن رجاء, وعن ابن جريج , قال : بلغني , عن مجاهد , قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار. 11390 - حدثني محمد بن الحسين , قال : ثنا أحمد بن مفضل , قال : ثنا أسباط , عن السدي : { وبينهما حجاب } وهو السور , وهو الأعراف .

وعلى الأعراف رجال

وأما قوله : { وعلى الأعراف رجال } فإن الأعراف جمع واحدها عرف , وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف , وإنما قيل لعرف الديك : عرف , لارتفاعه على ما سواه من جسده; ومنه قول الشماخ بن ضرار : وظلت بأعراف تعالى كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز يعني بقوله:

" بأعراف " : بنشوز من الأرض ; ومنه قول الآخر : كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفي على الأعراف وكان السدي يقول : إنما سمي الأعراف أعرافا , لأن أصحابه يعرفون الناس . 11391 - حدثني بذلك محمد بن الحسين , قال : ثنا أحمد بن المفضل , قال : ثنا أسباط , عن السدي . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 11392 - حدثنا سفيان بن وكيع , قال : ثنا ابن عيينة , عن عبيد الله بن أبي يزيد , سمع ابن عباس يقول : الأعراف : هو الشيء المشرف . * حدثنا الحسن بن يحيى , قال : أخبرنا عبد الرزاق , قال : أخبرنا ابن عيينة , عن عبيد الله بن أبي يزيد , قال : سمعت ابن عباس يقول , مثله . 11393 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثني أبي , عن سفيان , عن جابر , عن مجاهد , عن ابن عباس , قال : الأعراف : سور كعرف الديك . * حدثني المثنى , قال : ثنا أبو نعيم , قال : ثنا سفيان , عن جابر , عن مجاهد , عن ابن عباس , مثله . 11394 - حدثني محمد بن عمرو , قال : ثنا أبو عاصم , قال : ثنا عيسى , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد , قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار سور له باب . قال أبو موسى : وحدثني عبيد الله بن أبي يزيد , أنه سمع ابن عباس يقول : إن الأعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار . * حدثني المثنى , قال : ثنا أبو حذيفة , قال : ثنا شبل , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد , قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار , سور له باب . * حدثنا ابن وكيع, قال : ثنا جرير , عن منصور , عن حبيب بن أبي ثابت , عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس , قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار. * حدثني المثنى , قال : ثنا عبد الله بن صالح , قال : ثني معاوية , عن علي بن أبي طلحة , عن ابن عباس , قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار . * حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس قوله : { وعلى الأعراف رجال } يعني بالأعراف : السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار . * حدثنا الحارث , قال : ثنا عبد العزيز , قال : ثنا إسرائيل , عن جابر , عن مجاهد , عن ابن عباس, قال : الأعراف : سور له عرف كعرف الديك . 11395 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبي , عن إسرائيل , عن جابر , عن أبي جعفر , قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار . 11396 - حدثت عن الحسين بن الفرج , قال : سمعت أبا معاذ , قال : ثني عبيد بن سليمان , قال : سمعت الضحاك يقول : الأعراف : السور الذي بين الجنة والنار . واختلف أهل التأويل في صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك , فقال بعضهم : هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فجعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء, ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم . ذكر من قال ذلك : 11397 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا يحيى بن واضح , قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق , قال : قال الشعبي : أرسل إلي عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش , وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرا ليس كما ذكرا , فقلت لهما : إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة . فقالا : هات ! فقلت: إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف , فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة , فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار , قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ! فبينا هم كذلك , اطلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال : اذهبوا وادخلوا الجنة , فإني قد غفرت لكم ! . 11398 - حدثني يعقوب بن إبراهيم , قال : ثنا هشيم , قال : أخبرنا حصين , عن الشعبي , عن حذيفة , أنه سئل عن أصحاب الأعراف , قال : فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة , وخلفت بهم حسناتهم عن النار. قال : فوقفوا هنالك

على السور حتى يقضي الله فيهم . * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا جرير وعمران بن عيينة , عن حصين , عن عامر , عن حذيفة , قال : أصحاب الأعراف : قوم كانت لهم ذنوب وحسنات , فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار , فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره . * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا يحيى بن يمان , عن سفيان , عن جابر , عن الشعبي , عن حذيفة , قال : أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فيقول : ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي , { لا خوف عليكم } اليوم { ولا أنتم تحزنون } * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبي , عن يونس بن أبي إسحاق , عن عامر , عن حذيفة , قال : أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار , وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة . 11399 - حدثنا المثنى , قال : ثنا سويد بن نصر , قال : أخبرنا ابن المبارك , عن أبي بكر الهذلي , قال : قال سعيد بن جبير , وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود , قال : يحاسب الناس يوم القيامة , فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة , ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار . ثم قرأ قول الله : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم } 7 : 9 ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجع ; قال : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف . فوقفوا على الصراط , ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار , فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : سلام عليكم ! وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار , قالوا : { ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين } 7 47 فيتعوذون بالله من منازلهم . قال : فأما أصحاب الحسنات , فإنهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم , ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا , فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة . فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون , قالوا : ربنا أتمم لنا نورنا ! وأما أصحاب الأعراف , فإن النور كان في أيديهم , فلم ينزع من أيديهم , فهنالك يقول الله : { لم يدخلوها وهم يطمعون } فكان الطمع دخولا . قال : فقال ابن مسعود : على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشرا , وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة . ثم يقول : هلك من غلب وحدانه أعشاره . 11400 - حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع , قال : أخبرني ابن وهب قال : أخبرني عيسى الخياط عن الشعبي , عن حذيفة , قال : أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار , وهم آخر من يدخل الجنة , قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار. 11401 - حدثنا ابن بشار , قال : ثنا أبو داود , قال : ثنا همام , عن قتادة , قال : قال ابن عباس: أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم . 11402 - حدثنا ابن وكيع وابن حميد , قالا : ثنا جرير عن منصور , عن حبيب بن أبي ثابت , عن عبد الله بن الحارث , عن ابن عباس , قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار , وأصحاب الأعراف بذلك المكان , حتى إذا بدا لله أن يعافيهم , انطلق بهم إلى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك , فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها , حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن , فقال : تمنوا ما شئتم ! قال : فيتمنون , حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم : لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة . فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها , يسمون مساكين الجنة . 11403 - حدثنا ابن بشار, قال : ثنا عبد الرحمن , قال : ثنا سفيان , عن حبيب , عن مجاهد , عن عبد الله بن الحارث , قال: أصحاب الأعراف يؤمر بهم إلى نهر يقال له الحياة , ترابه الورس والزعفران , وحافتاه قضب اللؤلؤ. قال : وأحسبه قال : مكلل باللؤلؤ. وقال : فيغتسلون فيه , فتبدو في نحورهم شامة بيضاء

فيقال لهم : تمنوا ! فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا ! وإنهم مساكين أهل الجنة . قال حبيب : وحدثني رجل : أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم . * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبي , عن سفيان , عن حبيب بن ثابت , عن مجاهد , عن عبد الله بن الحارث , قال : أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له الحياة , حافتاه قضب من ذهب - قال سفيان : أراه قال - : مكلل باللؤلؤ. قال : فيغتسلون منه اغتسالة , فتبدو في نحورهم شامة بيضاء , ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون, فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا , فيقال لهم : تمنوا ما شئتم ! فيتمنون ما شاءوا. فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا ! قال : فهم مساكين أهل الجنة . * حدثنا الحسن بن يحيى , قال : أخبرنا عبد الرزاق , قال : أخبرنا ابن عيينة , عن حصين , عن الشعبي , عن حذيفة , قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فهم على سور بين الجنة والنار { لم يدخلوها وهم يطمعون } * حدثنا بشر بن معاذ , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , قال : كان ابن عباس يقول : الأعراف بين الجنة والنار , حبس عليه أقوام بأعمالهم. وكان يقول : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم , ولا سيئاتهم على حسناتهم . * حدثنا الحسن بن يحيى , قال : أخبرنا عبد الرزاق , قال : أخبرنا معمر , عن قتادة , قال : قال ابن عباس: أهل الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . 11404 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبو خالد , عن جويبر , عن الضحاك , قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . 11405 - وقال : ثنا يحيى بن يمان , عن شريك , عن منصور , عن سعيد بن جبير , قال : أصحاب الأعراف استوت أعمالهم. * حدثني المثنى , قال : ثنا عمرو بن عون , قال : أخبرنا هشيم , عن جويبر , عن الضحاك , عن ابن عباس , قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم , فوقفوا هنالك على السور . 11406 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا جرير , عن منصور , عن حبيب بن أبي ثابت , عن سفيع أو سميع - قال أبو جعفر : كذا وجدت في كتاب سفيع - عن أبي علقمة قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . وقال آخرون : كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا. ذكر من قال ذلك : 11407 - ابن وكيع , قال : ثنا يحيى بن يمان , عن أبي مسعر, عن شرحبيل بن سعد , قال : هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم . 11408 - حدثني المثنى, قال : ثنا عبد الله بن صالح , قال : ثني الليث , قال : ثني خالد , عن سعيد , عن يحيى بن شبل : أن رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف , فقال : " هم قوم غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم , فقتلوا , فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله , وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم , فهم آخر من يدخل الجنة " . 11409 - حدثني المثنى , قال : ثنا إسحاق , قال : ثنا يزيد بن هارون , عن أبي معشر , عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم , عن محمد بن عبد الرحمن , عن أبيه , قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف , فقال : " قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم , فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار , ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة " . وقال آخرون: بل هم قوم صالحون فقهاء علماء . ذكر من قال ذلك : 11410 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبي, عن سفيان , عن خصيف , عن مجاهد , قال : أصحاب الأعراف قوم صالحون , فقهاء علماء . وقال آخرون : بل هم ملائكة وليسوا ببني آدم . ذكر من قال ذلك : 11411 - حدثني يعقوب بن إبراهيم , قال : ثنا ابن علية , عن أبي مجلز , قوله : { وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } قال : هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار . قال : { ونادوا أصحاب

الجنة أن سلام عليكم } إلى قوله : { ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين } . قال : فنادى أصحاب الأعراف رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم : { ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة } قال : فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة , { ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } 11412 - حدثنا ابن عبد الأعلى , قال : ثنا المعتمر , قال : سمعت عمران , قال : قلت لأبي مجلز : يقول الله : { وعلى الأعراف رجال } وتزعم أنت أنهم الملائكة ؟ قال : فقال : إنهم ذكور وليسوا بإناث . 11413 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا جرير , عن سليمان التيمي , عن أبي مجلز : { وعلى الأعراف رجال } قال : رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم , أهل النار وأهل الجنة , وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة . * حدثنا ابن وكيع , قال: ثنا محمد بن أبي عدي , عن التيمي , عن أبي مجلز , بنحوه . 11414 - وقال : حدثنا يحيى بن يمان , عن سفيان , عن التيمي , عن أبي مجلز , قال : أصحاب الأعراف الملائكة . * حدثني المثنى , قال : ثنا يعلى بن أسد , قال : ثنا خالد , قال : أخبرنا التيمي , عن أبي مجلز : { وعلى الأعراف رجال } قال : هم الملائكة . * حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا أبي , عن عمران بن حدير , عن أبي مجلز : { وعلى الأعراف رجال } قال : هم الملائكة . قلت : يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال , وأنت تقول ملائكة ؟ قال : إنهم ذكران ليسوا بإناث . * حدثني المثنى , قال : ثنا الحجاج, قال : ثنا حماد عن عمران بن حدير , عن أبي مجلز , في قوله : { وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } قال : الملائكة , قال : قلت : يقول الله رجال , قال : الملائكة ذكور . قال أبو جعفر : والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم , ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ولا أنه متفق على تأويلها , ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة . فإذ كان ذلك كذلك , وكان ذلك لا يدرك قياسا , وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم , كان بينا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له , وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره . هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم , ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار وإن كان في أسانيدها ما فيها . وقد : 11415 - حدثني القاسم , قال : ثني الحسين, قال : ثني جرير عن عمارة بن القعقاع , عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير , قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف , فقال : " هم آخر من يفصل بينهم من العباد , وإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد , قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلكم الجنة , وأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم " .

يعرفون كلا بسيماهم

القول في تأويل قوله تعالى : { يعرفون كلا بسيماهم } يقول تعالى ذكره : وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم , وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليها . ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم , وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم , فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم : سلام عليكم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 11416 - حدثني المثنى ,

قال : ثنا عبد الله بن صالح , قال : ثني معاوية , عن علي بن أبي طلحة , عن ابن عباس , قوله : { وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } قال : يعرفون أهل النار بسواد الوجوه , وأهل الجنة ببياض الوجوه . 11417 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي, عن أبيه , عن ابن عباس : { وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } قال : أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار , وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه , ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين , وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام , لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها , وهم داخلوها إن شاء الله . 11418 - حدثني محمد بن عمرو , قال : ثنا أبو عاصم , قال : ثنا عيسى , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد : { بسيماهم } قال : بسواد الوجوه وزرقة العيون. * حدثني المثنى , قال : ثنا أبو حذيفة , قال : ثنا شبل , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد : { وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون , وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم . * حدثني المثنى , قال : ثنا عمرو بن عون , قال : ثنا هشيم , عن جويبر , عن الضحاك , عن ابن عباس , قال : أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه, وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه . 11419 - حدثني المثنى , قال : ثنا سويد بن نصر, قال : أخبرنا ابن المبارك , عن جويبر , عن الضحاك , عن ابن عباس , قال : إن أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام , وكان حسم أمرهم لله , فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه , ف { قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين } وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه , فذلك قوله : { ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون } 11420 - حدثنا عن الحسين بن الفرج , قال : سمعت أبا معاذ , قال : ثنا عبيد بن سليمان , قال : سمعت الضحاك , في قوله : { وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } زعموا أن أصحاب الأعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا ; وكان حسم أمرهم لله , فجعلهم الله على الأعراف , فإذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه , فتعوذوا بالله من النار ; وإذا نظروا إلى أهل الجنة , نادوهم أن سلام عليكم , قال الله : { لم يدخلوها وهم يطمعون } قال : وهذا قول ابن عباس . 11421 - حدثني محمد بن الحسين , قال : ثنا أحمد بن المفضل , قال : ثنا أسباط , عن السدي : { يعرفون كلا بسيماهم } يعرفون الناس بسيماهم , يعرفون أهل النار بسواد وجوههم , وأهل الجنة ببياض وجوههم . 11422 - حدثنا بشر بن معاذ , قال : ثنا يزيد بن زريع , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , قوله : { يعرفون كلا بسيماهم } يعرفون أهل النار بسواد وجوههم , وأهل الجنة ببياض وجوههم . 11423 - حدثني يونس , قال : أخبرنا ابن وهب , قال : قال ابن زيد , في قوله : { وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم } قال : أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه , وأهل النار بسيماهم سود الوجوه . قال : وقوله { يعرفون كلا بسيماهم } قال : أصحاب الجنة وأصحاب النار , ونادوا أصحاب الجنة , قال : حين رأوا وجوههم قد ابيضت. 11424 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا المحاربي , عن جويبر , عن الضحاك : { يعرفون كلا بسيماهم } قال : بسواد الوجوه. 11425 - حدثنا ابن وكيع , قال : ثنا يحيى بن يمان , عن مبارك , عن الحسن : { بسيماهم } قال : بسواد الوجوه , وزرقة العيون . والسيماء : العلامة الدالة على الشيء في كلام العرب , وأصله من السمة نقلت واوها التي هي فاء الفعل إلى موضع العين , كما يقال : اضمحل وامضحل . وذكر سماعا عن بعض بني عقيل , : هي أرض خامة , يعني : وخمة ; ومنه قولهم : له جاه عند الناس , بمعنى : وجه , نقلت واوه إلى موضع عين الفعل وفيها لغات ثلاث : " سيما

مقصورة " , و " سيماء " ممدودة , و " سيمياء " بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ومدها على مثال الكبرياء , كما قال الشاعر : غلام رماه الله بالحسن إذ رمى له سيمياء لا تشق على البصر

ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون

وأما قوله : { ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون } أي حلت عليهم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه . واختلف أهل التأويل في المعني بقوله : { لم يدخلوها وهم يطمعون } فقال بعضهم : هذا خبر من الله عن أهل الأعراف أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الأعراف , غير أنهم قالوه وهم يطمعون في دخولها . ذكر من قال ذلك : 11426 - حدثني محمد بن الحسين , قال : ثنا أحمد بن مفضل , قال : ثنا أسباط , عن السدي , قال : أهل الأعراف يعرفون الناس , فإذا مروا عليهم بزمرة يذهب بها إلى الجنة قالوا : سلام عليكم ! يقول الله لأهل الأعراف : { لم يدخلوها وهم يطمعون } أن يدخلوها. 11427 - حدثني محمد بن عبد الأعلى , قال : ثنا محمد بن ثور , عن معمر , قال : تلا الحسن : { لم يدخلوها وهم يطمعون } قال : والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم. 11428 - حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , قوله : { لم يدخلوها وهم يطمعون } قال : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع . 11429 - حدثني المثنى , قال : ثنا سويد , قال : أخبرنا ابن المبارك , عن أبي بكر الهذلي , قال : قال سعيد بن جبير , وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود , قال : أما أصحاب الأعراف , فإن النور كان في أيديهم فانتزع من أيديهم ; يقول الله : { لم يدخلوها وهم يطمعون } قال : في دخولها . قال ابن عباس : فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة . 11430 - حدثني الحارث , قال : ثنا عبد العزيز , قال : ثنا إسرائيل , عن جابر , عن عكرمة وعطاء : { لم يدخلوها وهم يطمعون } قالا : في دخولها . وقال آخرون : إنما عني بذلك أهل الجنة , وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة : سلام عليكم , وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها , ولم يدخلوها بعد . ذكر من قال ذلك : 11431 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا وكيع , قال : ثنا جرير , عن سليمان التيمي , عن أبي مجلز : { ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون } قال : الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم , وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الأعراف , ينادون أصحاب الجنة : أن سلام عليكم ! لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها

الاستنباطات المفتراة من عند أنفسنا

بناءً على ما جاءنا في هذا "التفسير العظيم"، فإننا نجلب انتباه القارئ إلى النقاط التالية التي نظن أنها جوهرية في هذا النقاش، وهي:

أولا، أجمع أهل الدراية من سادتنا العلماء أن الأعراف هو حاجز بين الجنة والنار " وبين الجنة والنار حجاب , يقول : حاجز , وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال : { فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب } "

ثانيا، أن الرجال على الأعراف هم من حبستهم ذنوبهم عن دخول الجنة ومنعتهم حسناتهم عن دخول الجنة، فهم ينتظرون رحمة ربهم "إن الأعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار"

ثالثا، ذكر بعض أهل الدراية من غريب القول أن الرجال الذين على الأعراف هم "قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم , فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار , ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة"

رابعا، ذكر بعض أهل الدراية من غريب القول أن الرجال الذين على الأعراف: "هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار"

خامسا، انتهى الأمر إلى إسناد الكلام إلى حديث مروي عن النبي محمد هذا نصه كما ورد في نهاية كلام أهل التأويل في هذا التفسير العظيم: ""سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف , فقال : " هم آخر من يفصل بينهم من العباد , وإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد , قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلكم الجنة , وأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم "

سادسا، غنى عبدالحليم حافظ (ربما في سبعينيات القرن الماضي) من قصائد نزار قباني "لا توجد منطقة وسطى ما بين الجنة والنار"، فثارت ثائرة أهل الدراية من سادتنا العلماء في زمانه، فخرجت الفتاوى التي تكفر عبد الحليم وسيده نزار قباني من كل حدب وصوب، وكان ظن أهل العلم أن هؤلاء "المارقين" من أهل الطرب واللهو قد كفروا "بالأعراف". ومن أراد المجادلة فليرجع إلى ما دار من جدال حينئذ حول هذه القضية بين "الكافرين التابعين لعبد الحليم ونزار و "المؤمنين" وهم من صُكّت لهم مفاتيح الجنان والفردوس الأعلى فحفظوها في جيوبهم وأخذوا يفتحون أبوابها الثمانية لمن يشاءون ويغلقونها في وجه من أرادوا. وأنا مالي؟!!!

لكن، يبقى التساؤل قائما: هل هذه هي حقيقة الأعراف؟ وهل هذا هو "فقه الحديث" الذي نطلبه جاهدين من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الأعراف:

- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦﴾ [الأعراف: 46]
- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾ [الأعراف: 48]

رأينا المفترى:

أولا، ظن كثير من أهل الدراية من سادتنا العلماء بأن الأعراف عبارة عن حاجز أو حجاب بين الجنة والنار، الأمر الذي يدفعنا على الفور إلى طرح تساؤلنا التالي: ألا تتحدث الآية الكريمة نفسها عن وجود حجاب وعن وجود أعراف في الوقت نفسه. فانظر – إن شئت- في الآية الكريمة نفسها:

- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦﴾ [الأعراف: 46]

فكيف يمكن أن يكون الأعراف (نحن نسأل) حجاب وفي الوقت ذاته هناك حجاب وهناك أعراف في الآية الكريمة نفسها؟ ألا يدل ذلك أن هناك حجاب وهناك أعراف؟ ألا يدل ذلك على أعلى درجات القصور في فقه الحديث؟ ألم يكن الأجدر بعلماء الأمة أن يطرحوا التساؤل التالي: ما الفرق بين الحجاب والأعراف اللذان وردا في الآية الكريمة نفسه؟

ثانيا، إذا كان الأعراف حاجزا يشبه عرف الديك (كما ظن الكثيرون منهم)، فكيف سيكون عليه رجال؟ وما بال النساء؟ أم هل الأمر في استواء الحسنات والسيئات مقتصرة فقط على الرجال؟ فلم لا يكون على الأعراف نساء كما عليه رجال؟ من يدري؟!

ثالثا، من الذين يعرفون بسيماهم؟ هل رجال الأعراف أنفسهم أم الذين ينادي عليهم رجال الأعراف؟ انظر الآية جيدا:

- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾ [الأعراف: 48]

أليس المعروفون بسيماهم هم المنادى عليهم (رِجَالًا)؟ فكيف بأهل العلم يتحدثون أن من يعرفون بسيماهم هم رجال الأعراف أنفسهم؟ ألا يدل ذلك على أعلى درجات القصور في فقه الحديث؟ انظر التفسير السابق.

رابعا: من الذي لم يُغْني عنهم جمعهم وما كانوا يستكبرون؟ هل هم رجال الأعراف أنفسهم أم الذين ينادي عليهم رجال الأعراف؟

- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨﴾ [الأعراف: 48]

فكيف إذن يظن أكثر أهل العلم أن من لم يُغْني عنهم جمعهم هم أصحاب الأعراف أنفسهم؟ أليس هم المنادى عليهم من الرجال الذين يعرفونهم أصحابُ الأعراف؟ ألا يدل ذلك على أقصى درجات القصور في فقه الحديث؟

خامسا: من الذي يعرف من؟ أليس رجال الأعراف هم من يعرفون كل الآخرين بسيماهم؟

- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦﴾ [الأعراف: 46]

السؤال: لماذا يعرف رجال الأعراف كلا (أي كل الآخرين) بسيماهم؟ فما هي مهمة رجال الأعراف إذن؟ أليست هي إذن التعرف على الآخرين؟

جواب: نحن نظن أن على الأعراف رجال (وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ) مهمتهم أن يتعرفوا على الآخرين من الرجال الذين ينادون عليهم (وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا)، وذلك لأن رجال الأعراف يعرفون هؤلاء القادمين عليهم من بعيد بسيماهم (يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ)، فتتم المناداة عليهم من بعيد. فمن هم إذن رجالُ (أو أصحابُ) الأعراف؟

(دعاء: اللهم رب العرش العظيم أسألك بأسمائك الحسنى وكلماتك التامة أن أكون من أصحاب الأعراف - أمين)

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لأن رجال الأعراف هم (نحن نفتري القول) الشهداء على الناس، قال تعالى:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: 143]
- ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: 140]
- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: 69]

نتيجة مفتراة: فالله هو من يتخذ منا شهداء لنكون شهداء على الناس، أليس كذلك؟

- ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: 140]

(دعاء: اللهم أسألك وحدك أن أكون ممن اتخذتهم شهدا على الناس - آمين)

ولعل أغرب ما في الأمر أن أهل الدراية قد نقلوا مفردة **الشهيد** من معناها القرآني الحقيقي وهي (نحن نظن) الشهادة على الآخرين كما جاء في السياقات القرآنية العديدة:

- ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ [البقرة: 23]
- ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: 133]
- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: 143]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: 282]
- ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩﴾ [آل عمران: 99]
- ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: 140]
- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: 69]
- ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: 135]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: 8]

- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: 44]
- ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام: 144]
- ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾ [الأنعام: 150]
- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: 78]
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: 4]
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾ [النور: 6]
- ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [النور: 13]
- ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزمر: 69]
- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد: 19]

إلى معنى القتل في سبيل الله، بالرغم أن الأمرين واضحان تماما في النص القرآني:

- ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران: 169-171]

- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾ [محمد: 4-6]

نتيجة مفتراة 1: الشهداء هم الذين يشهدون على الآخرين

نتيجة مفتراة 2: من قتل في سبيل الله لا يسمى شهيدا وإنما يسمى "مقتول في سبيل الله" وكفى.

السؤال: هل هذا فقه حديث؟

رأينا: صحيح أن أهل الدراية من سادتنا العلماء يعرفون مفردة الأعراف جيدا، لذا فهم يفقهون بذلك القول منها، لكنهم عندما أخفقوا في فهمها فهما قرآنيا (أي كما أرادها الله في كتابه الكريم)، فهم بذلك لم يفقهوا الحديث منها. فأهل الأعراف هم مجموعة من الرجال يقفون على منصة مرتفعة، مهمتهم الأساسية التعرف على القادمين إليهم من بعيد من الرجال، وهم من عندهم المقدرة على معرفة كل القادمين إليهم بسيماهم، ولا أظن أن من يستطيع أن يعرف الآخرين بسيماهم يقل في القدرة على الشهادة عن من جاءت الآية الكريمة التالية بحقه:

- ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾ [محمد: 30]

فمحمد (كرجل) هو شهيد على الناس لأنه يستطيع أن يعرف الرجال الآخرين بسيماهم كما كان يستطيع أن يعرفهم في لحن القول. لذا عندما يكون محمد الرجل (كواحد من أصحاب الأعراف - وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا) واقفا هناك يستطيع التعرف علينا، وذلك لسبب بسيط وهو ما هو واضح بسيمانا:

- ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: 29]

وهذه المهمة لا تقتصر على محمد فقط، وإنما على كل من كان من الرجال من أصحاب الأعراف:

- ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ [الأعراف: 46]

ومهمتهم الرئيسية حينئذ هي التعرف على الرجال الآخرين:

- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٨﴾ [الأعراف: 48]

والوسيلة هي هذه "السيما" الفارقة الواضحة في وجه الرجال القادمين من بعيد التي لا تكون فقط للمؤمنين وإنما للمجرمين أيضا:

- ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن: 41]

ومهمة التعرف لا تقتصر فقط على الأنبياء والرسل وإنما على كل من اتخذه الله شهيدا:

- ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢٧٣﴾ [البقرة: 273]

نتيجة مفتراة: عندما يتخذ الله الرسول شهيدا علينا، ويتخذ منا شهداء على الناس، تكون مهمة هؤلاء الشهداء هي التعرف على كل الرجال القادمين إليهم، فنحن نتخيل أصحاب الأعراف ويكأنهم واقفين على منصة تسمى (نحن نظن) الأعراف (من التعرف) لينظروا إلى القادمين من بعيد، وما أن يرونهم بأم أعينهم حتى يستطيعوا أن يميزوا المؤمن منهم من المجرم، وتكون الآلية هي "سيماهم"، فَمَا لِهَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا.

عودة إلى قصة يأجوج ومأجوج؟

دعنا نعود إلى قصة القوم الذين وجدهم ذو القرنين دون السد وهم لا يكادون يفقهون قولا بالفهم المفترى التالي: عندما تجد إنسان لا يفقه قولا، فهو لا يعرف المفردات نفسها، فأنت (كعربي اللسان) لا تفقه قولا صينيا (إذا لم تكن تعرف ذلك اللسان)، فإن نطق أحد أهل اللغة الصينية ببعض المفردات على مسامعك، فأنت لا شك لا تستطيع أن تعرف أيا منها نطق بها هذا الرجل، فلا تستطيع أن تميز المفردات الصينية بعضها من بعض مادام أنك لا تعرف اللسان الصيني. ومادام أنك لا تفقه القول الصيني فأنت بكل تأكيد لا تستطيع أن تفقه حديثه (أي مراد قوله)، فلو قال لك شخص ما باللغة الصينية "أعطني عشرة دولارات" فإنك لن تعمد على الفور إلى محفظتك لتخرج له النقود، ولن ترد عليه بالقول بأني لا أملك النقود أو أني لا أريد أن أعطيك فاعذرني، وهكذا. والسبب في ذلك هو (نحن نظن) أنك أخفقت في فقه القول بداية مادام أنك لا تعرف اللسان الصيني أساسا. وستكون ردك فعلك على قوله لمن حولك هو "ماذا يقول هذا الشخص؟"

ولكن بالمقابل، لو قال لك زميلك الذي يتحدث لسانك وتتحدث لسانه "أعطني عشرة دولارات"، لفقهت قوله على الفور، ولأدركت أن الحديث عن النقود وعن إعطاء النقود، وهكذا. ولكن بالرغم من فقهك لقوله هذا، فسيكون ردك عليه متماشيا بالضبط مع ما فقهت من حديثه (وليس من قوله)، فإذا علمت أنه شخص انتهازي وهو عادة ما يطلب ذلك من الناس، فربما تعتذر له على الفور بالقول "أسف، لا أملك النقود"، وربما تضطر للكذب لتخرج نفسك من هذه الورطة، وربما يأتي ردك عليه بالقول "متى ستعيدها لي"، وربما تقول له "اسأل عليا فهو من يقرضك عادة" ، وهكذا. إن مراد القول أن مفردات العبارة لن تصعب عليك، ولكن فقه الحديث قد يخونك بعض الشيء.

السؤال: كيف كان القوم الذين وجدهم ذو القرنين لا يفقهون قولا؟

جواب مفترى: لأنهم ببساطة لا يستطيعون أن يفهموا قول أحد، لأنهم ليسوا من الذين يتخاطبون بالقول:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾ [الكهف: 93]

السؤال: إذا كانوا لا يكادون يفقهون قولا، فكيف جرى الخطاب بينهم من جهة وذي القرنين من جهة أخرى؟

رأينا: هم لم يفقهوا قول ذي القرنين ولكن ذو القرنين كان هو من فقه قولهم، فجرى الخطاب (نحن نظن) بقولهم وليس بقول ذي القرنين، فاللغة التي استخدمت في الخطاب بين الطرفين هي لغتهم وليس لغة ذي القرنين.

السؤال: كيف حصل ذلك؟

جواب: لأن الله كان قد آتى ذا القرنين من كل شيء سببا:

- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾ [الكهف: 83-84]

فمادام أن ذا القرنين قد أوتي من كل شيء سببا فهو (نحن نظن) يعرف الطريق إلى كل شيء بما فيها كيفية مخاطبة الأقوام الأخرى كافة.

الدليل

الفرق بين ملك سليمان وملك ذي القرنين

لو تفقدنا الآية الكريمة التالية الخاصة بسليمان لوجدنا الفصل واضحا بين شيئين اثنين وهما: منطق الطير والإتيان من كل شيء:

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 16]

ولو ربطنا ما جاء في هذه الآية الكريمة مع ما أوتي ذي القرنين لوجدنا علامة فارقة جدا:

- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 84]

لتكون المقارنة على النحو التالي:

1. سليمان أوتي من كل شيء
2. ذو القرنين أوتي من كل شيء سببا

نتيجة مفتراة: لما لم يؤتى سليمان من كل شيء سببا، لذا جاء تعليمه منطق الطير منفصلا (عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ)، ولكن ذو القرنين لم يكن بحاجة إلى ذلك مادام أنه قد أوتي من كل شيء سببا. وهذا يدلنا على واحدة من الفروقات بين ملك سليمان وما كان من التمكين لذي القرنين.

ثانيا، نحن نعلم من صريح اللفظ القرآني أن سليمان قد دعا ربه أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 35]

ولكن الملفت للانتباه هو أن سليمان لم يسأل ربه ملكا لم يكن لأحد من قبله، ليكون السؤال هو: لماذا؟

جواب: لأن سليمان يعلم تماما ما كان من ملك ذي القرنين من ذي قبل، فسليمان لم يطلب ملكا أعظم من ملك ذي القرنين لأن ذا القرنين قد سبقه إلى ذلك:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 83-84]

فما الذي سيسبق سليمان إليه مادام أن الله قد آتى ذا القرنين من قبل من كل شيء سببا؟ فحد الملك الأقصى هو ما كان لذي القرنين، لذا جاءت دعوة سليمان بملك لا ينبغي لأحد من بعده:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 35]

مثال: لا شك أن هناك الكثيرون الذين سبقونا إلى العلم، وما محمد إلا خير مثال على ذلك، فهل سيكون لنا علم أعظم مما كان لمحمد مثلا؟

رأينا: كلا وألف كلا، فالله قد آتى رسله علما وحكما، فسبق كل منهم إلى نوع من العلم لم يسبق إليه غيره، فإبراهيم اختصه الله بحكم وعلما، وكذلك كان موسى ويوسف ولوطا، وكذلك كان محمد.

منطقنا المفترى: مادام أن الله قد آتى إبراهيم مثلا حكما وعلما، فهل نستطيع أن نحصل على علم أعظم من علم إبراهيم نفسه؟

جواب: كلا، وألف كلا.

منطقنا المفترى: مادام أن الله قد آتى يوسف مثلا حكما وعلما، فهل نستطيع أن نحصل على علم أعظم من علم يوسف نفسه؟

جواب: كلا، وألف كلا.

منطقنا المفترى: مادام أن الله قد آتى موسى مثلا حكما وعلما، فهل نستطيع أن نحصل على علم أعظم من علم موسى نفسه؟

جواب: كلا، وألف كلا.

السؤال: ما الذي يمكن أن نطلبه من ربنا إذن؟

رأينا المفترى: نحن نظن أننا نستطيع أن نطلب من ربنا واحدة من اثنتين أو كليهما:

1. أن يعلمنا ما كان من علم إبراهيم ويوسف وموسى وغيرهم
2. أن يؤتينا علما جديدا لا ينبغي لأحد من بعدنا فنكون نحن من سبقنا غيرنا إليه

(دعاء: اللهم أسألك أن تعلمني ما كان من علم من سبقونا كما أدعوك وحدك أن تعلمني علما لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت العليم الحكيم - آمين).

عودة على ذي بدء

عندما دعا سليمان ربه أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص: 35]

كانت النتيجة على النحو التالي:

- ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ [ص: 36-40]

لذا كان ملك سليمان هذا مختلفا في طبيعته وحجمه مقارنة بما كان لذي القرنين. فإذا كانت الريح تجري بسليمان رواحها شهر وغدوها شهر ليبلغ الأرض التي باركنا فيها، فقد وصل ذو القرنين مغرب الشمس وقد بلغ مغربها. وإذا كانت الكرة الأرضية قد طويت لـ سليمان كلها، فقد نفذ ذو القرنين من أقطار السموات فبلغ ملكه الأرض (بين السدين) ومغرب الشمس ومطلعها، أي لقد حكم ذو القرنين حدود الشمس. لكن هل الحجم هو فقط الاختلاف بين حكم الاثنين؟

التساؤل القائم: إذا كان الله قد سخر لسليمان الجن والشياطين (كل بناء وغواص منهم)، وآخرين مقرنين في الأصفاد:

- ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ [ص: 37-38]

وأن الجن كلهم قد خضعوا لملك سليمان، بدليل أنهم قد تنفسوا الصعداء بموته:

- ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾ [سبأ: 14]

فهل سخر الله الشياطين (والجن قاطبة) لذي القرنين؟

وإذا كان قد حشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير:

- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: 17]

فهل حشر مثل ذلك لذي القرنين؟ لم لا يذكر القرآن شيئا كهذا عن ذي القرنين؟ ثم من هم الذين كانوا برفقه ذي القرنين على الدوام؟ فمن هم مثلا الذين طلبوا منه أن يعذب أو أن يتخذ حسنا بالقوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس؟

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾ [الكهف: 86-88]

رأينا المفترى: نحن نظن (مفترين القول من عند أنفسنا) بأن القرآن الكريم لا يذكر أن الله قد سخر لذي القرنين (كما كان لسليمان) الجن والشياطين لأن ذا القرنين نفسه كان من الجن، فهو ليس من الإنس. ليكون السؤال الآن: من هو ذو القرنين هذا؟

للإجابة على هذا التساؤل لابد من طرح تساؤل آخر نظن أن له علاقة مباشرة بالإجابة عن التساؤل السابق، والتساؤل الجديد هو: لماذا سمي بذي القرنين أصلا؟ فلقد ابتدأت قصته في كتاب الله بالآية الكريمة التالية:

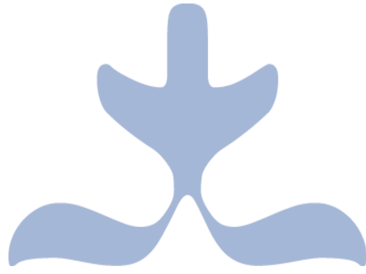
- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾ [الكهف: 83]

فهل نعرف لم جاء ذكر بطلنا هذا بهذا الوصف الذي صدقه الوصف الإلهي "ذِي الْقَرْنَيْنِ" له؟

هذا ما سنبدأ به النقاش بحول الله وتوفيقه في الجزء القادم من هذه المقالة.

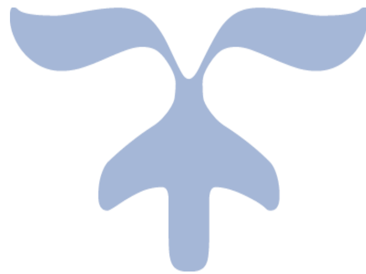
فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن يزدني علما، وأن ينفذ قوله ومشيئته لي بحكم وعلم لا ينبغي لأحد من بعدي إنه هو العليم الحكيم - آمين.

المدّكرون: رشيد الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح
20 آب 2014



قصة يأجوج ومأجوج

الجزء الرابع



قصة يأجوج ومأجوج – الجزء الرابع

لماذا سمي بـ "ذِي الْقَرْنَيْنِ"

سنبدأ النقاش في هذا الجزء الجديد من المقالة محاولين الإجابة على التساؤل الذي أثرناه في نهاية الجزء السابق ألا وهو: لم جاء ذكر بطلنا بهذا الوصف الذي صدقه الوصف الإلهي "ذِي الْقَرْنَيْنِ" له؟ أي لماذا سمي بـ "ذِي الْقَرْنَيْنِ" بصريح اللفظ القرآني؟

رأينا: لعل من المفيد أن نبدأ النقاش في هذه الجزئية منطلقين بما وصلنا من عند سادتنا أهل العلم الذين نظن أنهم لم يفقهوا الحديث وإن كانوا قد فقهوا بعض القول كما نقرأه في الطبري مثلا:

ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

القول في تأويل قوله تعالى : { ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا } يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه , وما كانت قصته , فقل لهم : سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول : سأقص عليكم منه خبرا . وقد قيل : إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذي القرنين , كانوا قوما من أهل الكتاب . فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركي قومه فقد ذكرناه قبل . وأما الخبر بأن الذين سألوه , كانوا قوما من أهل الكتاب . 17546 - فحدثنا به أبو كريب , قال : ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة , قال : ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم , عن شيخين من نجيب , قال : أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث , قالا : فأتياه فقالا : جئنا لتحدثنا , فقال : كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم , فخرجت من عنده , فلقيني قوم من أهل الكتاب , فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم , فاستأذن لنا عليه , فدخلت عليه , فأخبرته , فقال : " ما لي وما لهم , ما لي علم إلا ما علمني الله " , ثم قال : " اسكب لي ماء " , فتوضأ ثم صلى , قال : فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه , ثم قال : " أدخلهم علي , ومن رأيت من أصحابي " فدخلوا فقاموا بين يديه , فقال : " إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا , وإن شئتم أخبرتكم " , قالوا : بلى أخبرنا , قال : " جئتم تسألوني عن ذي القرنين , وما تجدونه في كتابكم : كان شابا من الروم , فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية ; فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء , فقال له ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتي ومدائن , ثم علا به , فقال : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتي , ثم علا به فقال : ما ترى ؟ قال : أرى الأرض , قال : فهذا اليم محيط بالدنيا , إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل , وتثبت العالم , فأتى به السد , وهو جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء , ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج , ثم مضى به إلى أمة أخرى , وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج , ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب , ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم " . واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين : ذو القرنين , فقال بعضهم : قيل له ذلك من أجل أنه

ضرب على قرنه فهلك , ثم أحيي فضرب على القرن الآخر فهلك . ذكر من قال ذلك : 17547 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا حكام , عن عنبسة , عن عبيد المكتب , عن أبي الطفيل , قال : سأل ابن الكواء عليا عن ذي القرنين , فقال : هو عبد أحب الله فأحبه , وناصح الله فنصحه , فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه , ثم بعثه الله , فضربوه على قرنه فمات . * - حدثنا محمد بن بشار , قال : ثنا يحيى , عن سفيان , عن حبيب بن أبي ثابت , عن أبي الطفيل , قال : سئل علي رضوان الله عليه عن ذي القرنين , فقال : كان عبدا ناصح الله فناصحه , فدعا قومه إلى الله , فضربوه على قرنه فمات , فأحياه الله , فدعا قومه إلى الله , فضربوه على قرنه فمات , فسمي ذا القرنين . * - حدثنا محمد بن المثنى , قال : ثنا محمد بن جعفر , قال : ثنا شعبة , عن القاسم بن أبي بزة , عن أبي الطفيل , قال : سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان ؟ قال : كان عبدا صالحا , فأحبه الله فنصحه , فبعثه الله إلى قومه , فضربوه ضربتين في رأسه , فسمي ذا القرنين . وفيكم اليوم مثله . وقال آخرون في ذلك بما : 17548 - حدثني به محمد بن سهل البخاري , قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم , قال : ثني عبد الصمد بن معقل , قال : قال وهب بن منبه : كان ذو القرنين ملكا , فقيل له : فلم سمي ذا القرنين ؟ قال : اختلف فيه أهل الكتاب , فقال بعضهم : ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين . وقال آخرون : إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا نحاس . ذكر من قال ذلك : 17549 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , قال : ثنى ابن أبي إسحاق , قال : ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني , قال : إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس

بناء على هذا "التفسير العظيم"، دعنا نذكّر القارئ الكريم – بداية- بالملاحظات التالية التي وردت فيه:

أولا، ذكر بعض أهل العلم أنه قد سُمِّي بذي القرنين لأنه "ضرب على قرنه فهلك , ثم أحيي فضرب على القرن الآخر فهلك"

ثانيا، قال بعضهم أنه سمي بذلك لأنه "كان عبدا صالحا , فأحبه الله فنصحه , فبعثه الله إلى قومه , فضربوه ضربتين في رأسه , فسمي ذا القرنين"

ثالثا، قال بعضهم أنه سمي بذلك لأنه "ملك الروم وفارس".

رابعا، قائل بعضهم سمي بذي القرنين لأنه "كان في رأسه شبه القرنين"

خامسا، قال بعضهم سمي بذلك "لأن صفحتي رأسه كانتا نحاس" أو "كانتا من نحاس"

السؤال المربك لنا: هل في هذا – يا سادة- قول يستحق أن يكتب في بطون الكتب فعلا؟ وهل فيه كلام يصلح أن يناقش في قاعات الدرس؟ وهل فيه حديث يستحق أن يكون علما يروى عن أهل الدراية من سادتنا العلماء؟ من يدري؟!!!

أما أنا، فأظن – كالعادة- أن سلّة المهملات هي المكان الأمثل لمثل هذا التخريف والتهريج، وأن جميع ما قيل لا يعدو أن يكون أكثر من نتاج عبقرية ساكني الخيام في ليال الصحراء الملتهبة، يتسامرون بها وأعينهم تحدِّق بالقمر الساطع ضوءه عليهم والنجوم المتلألئة فوقهم في كبد السماء.

السؤال: لماذا سُمّي إذن بذي القرنين؟ يسأل صحبنا مستغربا

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأنه عاصر فترتين زمنيتين أي عاش في قرنين من الزمان

الدليل

نحن نظن أن الدليل على كلامنا المفترى هذا قد يتحصل إذا ما طرح التساؤل التالي: ما هو القرن؟

جواب: كان الأجدر بسادتنا العلماء من أهل الدراية أن لا يدخلوا تراث البادية الذي ورثوه من عند آبائهم وأجدادهم بغثه وسمينه في كتاب الله دون تمحيص ولا تدقيق، وكان الأجدر بهم (نحن نتهمهم) أن لا يجعلوا التراث مهيمنا على الحق المطلق الذي جاءنا من عند ربنا. فهذا لا يكون (نحن نزعم) أكثر من فعلة حفنة من رعاء الشاه الذين ظنوا أن كتاب الله يمكن أن يفسره تراثهم المستمد من بداوة الصحراء. فظنوا أن قرن الماعز (أو ما شابهها من الدواب والأنعام) الذي يرعى على أطراف صحاريهم القاحلة– مثلا- هو ما يمكن أن يدلّهم على سبب تسمية فارسنا بـ ذِي الْقَرْنَيْنِ. فانطلق مخيالهم يقارن بين بطلنا المغوار والحيوانات (أي الدواب والأنعام) ذات القرنين التي ألفوها في باديتهم. فأخذت جميع تفسيراتهم هذا المنحى من الفهم الفاضح لأثر التراث في تفسير كتاب الله الذي فيه الحق المبين.

والمخيب للآمال على الدوام أنهم لم يسألوا أنفسهم السؤال الذي نطالبهم به على الدوام وهو: قبل أن تنقلوا تراثكم (بحلوه ومره) إلى كتاب الله، هلا تريثتم وتدبرتم ذاك التراث قليلا؟ فلم لم تتدبروا مثلا سبب تسمية ذاك "العظم" الذي يخرج من رأس ذكر الماعز مثلا بـ "القرن"؟ وكيف تكون آلية خروجه؟ ولماذا لا يكون لأنثى الدواب والأنعام ويكون خاصا بذكورها؟ وماذا عن الكائنات الأخرى؟ وما هي الدواب التي يمكن أن يكون لها قرن؟ وكيف يحصل ذلك؟ الخ.

وما يدمي القلوب بعد هذا كله أنهم لم يأتوا على ما يقولون بدليل واحد يثبت افتراءاتهم أو أثارة من علم تدل على أن ما يقوله يمكن أن يصنّف في خانة العلم الذي يستحق بذل الجهد لإثباته أو نفيه.

وما يجعل العيون تدمع من تلقاء نفسها أن العامة من الناس قد صدّقوا مثل هذا الكلام دون أدنى مساءلة ليس لشيء إلا لأنه منقول عن سادتهم من العلماء أهل الدراية الذين لا يشق لهم غبار، وأن من نقله عنهم هم أهل الرواية الذين لا يرقى (هم يظنون) إليهم شك في صدق ما ينقلون. من يدري؟!!!

السؤال: كيف يمكن التوصل إلى إجابة أكثر إقناعا مما ألفيناه من عند سادتنا العلماء أهل الدراية؟

جواب: يمكن لنا ذلك (بيسر وسهوله إن شاء الله) إذا ما تدبرنا المفردة ذاتها من كتاب الله نفسه، لنطرح التساؤل الآن على النحو التالي: ما هو "القرن" كما جاء في كتاب الله تعالى؟

جواب مفترى: جاءت مفردة قرن (بصيغة المفرد) في السياقات القرآنية التالية:

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾ [الأنعام: 6]
- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ [مريم: 74]
- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾ [مريم: 98]
- ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١﴾ [المؤمنون: 31]
- ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾ [ص: 3]
- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦﴾ [ق: 36]

وجاءت بصيغة الجمع (قرون) في السياقات التالية:

- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾ [يونس: 13]
- ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود: 116]
- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾ [الإسراء: 17]
- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾ [طه: 51]
- ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ [طه: 128]
- ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ٤٢﴾ [المؤمنون: 42]
- ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨﴾ [الفرقان: 38]
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ [القصص: 43]
- ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٤٥﴾ [القصص: 45]
- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ [القصص: 78]
- ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ٢٦﴾ [السجدة: 26]
- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾ [يس: 31]

- ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: 17]

السؤال: من هم القرن إذن؟ أو ما هو القرن؟

رأينا المفترى: هم قاطبة القوم الذين عاشوا معا (بغض النظر عن أعمارهم)، فحصل لهم تمكين في الأرض (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ)، وقد أصابهم خير من ربهم (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ)، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى فكانوا ظالمين (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا)، فلحقهم العذاب الرباني بسبب ذنوبهم (فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ)، فجاءهم العقاب الرباني جماعيا، فهلكوا جميعا (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)، فلم ينج منهم إلا قليلا من الذين آمنوا (إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ)، وأنشأ الله من بعدهم قرنا وقرونا آخرين (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ):

- ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: 6]
- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: 98]

كما نفتري القول بأنهم ممن جاءتهم الرسل بالبينات قبل هلالكم، فما كانوا ليؤمنوا إلا قليلا منهم، وهم الذين نجوا من العذاب الذي حاق بالكافرين منهم:

- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس: 13]
- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: 116]

كما نفتري القول أيضا أن هلالكم وإن كان قد أصابهم أنفسهم، إلا أنه ترك ما يدل عليهم كمساكنهم مثلا:

- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة: 26]
- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه: 128]

فكانت بداية القرون من بعد نوح تحديدا زماني:

- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾ [الإسراء: 17]

فكان هناك عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا:

- ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨﴾ [الفرقان: 38]

وانتهت فترة القرون الأولى عند موسى:

- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ [القصص: 43]

وهي نفسها التي سأل فرعونُ موسى عنها:

- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾ [طه: 51]

كما لا نتردد أن نفتري الظن بأنه لمّا تطاول العمر عليهم:

- ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٤٥﴾ [القصص: 45]

ارتبطت تلك القرون بفكرة الأساطير:

- ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ [الأحقاف: 17]

فأصبحت آيات الله التي أنزلها عند من لم يشهدوها بأم أعينهم وبكأنها أساطير الأولين عندما تتلى عليهم:

- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام: 25]
- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾ [الأنفال: 31]
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: 24]
- ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾ [المؤمنون: 83]
- ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: 5]

- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [النمل: 68]
- ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: 17]
- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم: 15]
- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المطففين: 13]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: مادام أن صاحبنا قد سمي بـ "ذي القرنين" بصريح اللفظ القرآني، فإننا نفتري الظن من عند أنفسنا أنه قد عاصر قرنين من القرون الأولى. فهو قد عاش في قرن من القرون الأولى، فحل العقاب على من كان يعيش حينئذ من الكافرين بسبب ظلم ارتكبوه بحق أنفسهم، ولم ينجو منهم إلا الذين آمنوا، وهم قليل، وكان ذو القرنين (نحن نتخيل) واحدا من الناجين من أولئك القرن لأنه كان من المؤمنين، وليس أدل على إيمانه من الحوار الذي حصل بينه وبين من طلبوا منه إيقاع العذاب على القوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 86-88]

وما أن أنشأ الله من بعدهم قرنا آخرين حتى كان ذو القرنين نفسه (نحن نظن) يعيش فيهم من جديد، فأصبح من المعاصرين لقرنين من القرون الأولى.

سؤال: إذا كان هذا هو سبب التسمية كما تفتري القول من عند نفسك، فلم إذن جاء ذكره في كتاب الله؟ وما علاقتنا نحن بمثل هذه القصص القديمة؟ وهل نستفيد نحن من هذا السرد التاريخي لقصص القرون الأولى؟

السؤال: لم جاء ذكره في كتاب الله؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن ذا القرنين يمثل دليلا عمليا على القدرة على النفاذ من أقطار السموات والأرض، كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: 33]

فهذا التحدي الإلهي قد جاء للجن والإنس بالقدرة على النفاذ من أقطار السموات والأرض، ونحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن ذا القرنين قد استطاع ذلك بما مكّنه الله فيه وبما آتاه الله من كل شيء سببا:

- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾ [الكهف: 84]

وقد تحصّل له ذلك عندما كان يستطيع أن يتبع سببا:

- ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [الكهف: 85]

فكان يستطيع أن يتبع الأسباب، وبذلك كان هو من نفذ من أقطار السموات، وذلك لأن الأسباب كما زعمنا سابقا هي الطرق الفضائية:

- ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾ [ص: 10]

وهذه هي نفسها التي ستتقطع بالذين كفروا في يوم الحساب:

- ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: 166]

وذلك لأن الذين اتبعوا (ٱتَّبَعُواْ) سيكونون مفصولين عن الذين اتبعوا (ٱتُّبِعُواْ) حينئذ، فها هم يطلبون من ربهم أن يريهم إياهم:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصلت: 29]

(للتفصيل انظر الأجزاء السابقة)

وبمثل هذا الافتراء الخطير الذي هو لا شك من عند نفسنا، ننطلق إلى التساؤل الخطير التالي: هل كان ذو القرنين هو فقط من استطاع بلوغ الأسباب؟

جواب: كلا وألف كلا، فها هو فرعون يطلب من هامان بناء صرح له لبلوغ من خلاله الأسباب:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: 36-37]

الأمر الذي يدعونا على الفور إلى إثارة التساؤلات التالية:

⇐ كيف ظن فرعون أنه يستطيع بلوغ الأسباب؟

⇐ لماذا طلب من هامان أن يفعل له ذلك؟
⇐ وهل نفذ هامانُ طلبَ فرعون هذا؟
⇐ وكيف نفذه؟
⇐ ولماذا طلب فرعون بناء الصرح على وجه التحديد لتحقيق مراده ذاك؟
⇐ وما هو الصرح الذي بناه هامان لفرعون؟
⇐ وما وجه الشبه بين فرعون وذي القرنين في هذه الجزئية على وجه التحديد؟
⇐ وهل فعلا اطلع فرعون بعد أن بُني له ذلك الصرح على إله موسى كما جاء على لسانه عندما طلب ذلك من هامان؟

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38]
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 36-37]

⇐ وهل كان فرعون هو فقط من بُني له صرح؟
⇐ ألم يكن لسليمان أيضا صرحا؟

- ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 44]

⇐ فما وجه الشبه بين صرح فرعون وصرح سليمان؟
⇐ ألم يكن لسليمان ملكا عظيما؟
⇐ لِم كان ملك سليمان عظيما مقارنة بملك من سيأتي بعده؟
⇐ وكيف يمكن أن يتشابه ملك سليمان بملك من كان قبله كذي القرنين مثلا؟
⇐ ألم يؤتي سليمان من كل شيء؟
⇐ ألم يؤتي ذو القرنين من كل شيء سببا؟
⇐ فما الفرق بين ما أوتي لذي القرنين وما أوتي لسليمان؟
⇐ الخ.

باب فرعون: هامان: الأسباب: الصرح

أما بعد،

بعد أن قضى موسى الأجل في مدين، سار بأهله متجها إلى الأرض المقدسة. لم يكن موسى عائدا إلى أرض مصر ليسلم نفسه وأهله بيده إلى فرعون وآله، ولكنه كان عائدا إلى المكان الأول الذي أوتي فيه حكما وعلما (وهي الأرض المقدسة) قبل أن يدخل المدينة على حين غفلة من أهلها ويقتل فيها رجلا من آل فرعون (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان: قصة موسى)

وما أن وصل موسى إلى الواد المقدس طوى حتى ناداه ربه هناك، فيطلب منه الذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى الهداية، والإيمان بالإله الواحد الأحد، فيأتي موسى فرعونَ بالآية الكبرى ليريه إياها، وما أن يراها فرعون بأم عينه حتى يولي مدبرا، وينادي في القوم مناديا فيهم بأنه هو ربهم الأعلى:

- ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات: 15-24]

وتحصل المواجهة المباشرة بين الطرفين على مرأى ومسمع من الحاضرين، فينبري من بين الحضور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، فيقدم حجة قوية تجبر فرعون على أن يرد عليها بقوة، فكانت حجة الرجل الذي يكتم إيمانه من آل فرعون قد صاغها على النحو التالي:

- ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٣ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ۝٣٥﴾ [غافر: 28-35]

وفي هذه اللحظة ينطلق لسان فرعون متحديا ما قاله الرجل:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ٣٧﴾ [غافر: 36-37]

فما يكون من ذاك الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه إلا أن يوجِّه الخطاب إلى الحاضرين بالدعوة للإنصات له، واللحاق بالركب، وعدم تصديق دعوى فرعون، فيتابع الرجل حديثه قائلا:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ٣٩ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٤٠ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ٤٥﴾ [غافر: 38-45]

ليكون السؤال الذي نريد أن نثيره هنا هو: لما جاء طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحا في خضم هذا النقاش الذي دار بين فرعون من جهة والرجل الذي يكتم إيمانه من جهة أخرى على مرأى ومسمع من الناس؟

رأينا: لو تفقدنا السياق القرآني الآخر الذي جاء فيه طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحا لوجدنا نبرة التحدي واضحة على مسمع من الملأ:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص: 38]

ولو قرأنا هذه الآية الكريمة في سياقها الأوسع، لوجدنا أن موسى كان حاضرا يقدم لهم الآيات التي أنكروها، ونعتوها بالسحر، لأن ذلك لم يكن مما سمعوه في الأولين:

- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص: 36-38]

فيكف يمكن أن نتخيل ما حصل حينئذ؟

تخيلات مفتراة: نحن نتخيل الأمر وقد حصل على النحو التالي: يأتي موسى بالآيات ليعرضها على فرعون وملأه (فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ)، فيكذبونها، واصفينها في الوقت ذاته بالسحر لأنهم لم يسمعوا بهذا في الأولين، أي القرون الأولى (قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ)، فينبري رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه حتى الساعة وهو (كما زعمنا سابقا نبي الله ذي الكفل الذي كفل موسى منذ أن تربى في آل فرعون)، فيساند موسى في حجته، (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) فيقدمان (أي موسى وهذا الرجل) الدليل على أن هناك إله واحد هو الأعلى لا بد من أن يعبد دون غيره، فما يكون من فرعون إلا أن يقول للقوم بأنه هو الإله الأوحد:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ...٣٨﴾ [القصص: 38]

ولكي يقدم فرعون لهؤلاء (أي الحاضرين المناظرة حينئذ) الدليل العملي على صحة زعمه وبطلان قول خصومه، طلب من هامان أن يبني له صرحا لكي يبلغ الأسباب فيطلع إلى إله موسى، فجاء طلبه بالتصوير القرآني على النحو التالي:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ٣٧﴾ [غافر: 36-37]

وصور له الآلية التي يقوم بها، فكانت على النحو التالي:

- ﴿... فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص: 38]

ولو تفقدنا السياق القرآني التالي لوجدنا أن فرعون قد استخف قومه فأطاعوه عندما قدّم لهم الحجة التالية:

- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ٥٣ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف: 51-54]

فكان الخلاف بين الطرفين قائما على إثبات وجود أم عدم وجود إله هو الأعلى، فكانت حجة فرعون تتمثل بأنه هو ربهم الأعلى:

- ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات: 23-24]

وأن الدليل العملي على ذلك يتمثل (في ظن فرعون) ببناء صرح يمكنه من بلوغ الأسباب فيطلع إلى إله موسى الذي لا يكاد يبين:

- ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [الزخرف: 52]

السؤال: كيف نفّذ فرعون طلبه هذا؟

جواب: ببناء الصرح.

السؤال: وهل بنا هامانُ لفرعون الصرح الذي طلبه منه؟

جواب: نعم بكل تأكيد.

السؤال: وهل بلغ فرعون أسباب السموات والأرض؟

جواب: نعم.

السؤال: وهل اطلع إلى إله موسى؟

جواب: نعم، لقد فعل.

السؤال: وهل آمن فرعون بإله موسى؟

جواب: نعم.

السؤال: وهل أقر فرعون بإله موسى؟

جواب: لم يقر فرعون بذلك إلا لحظة أن أدركه الغرق.

- ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: 90]

السؤال: وكيف مات فرعون؟

جواب: مسلما

السؤال: وهل يدخل فرعون النار

رأينا المفترى: لا أظن ذلك، لأنه مات وهو من المسلمين

السؤال: وكيف سيكون حاله في الآخرة؟

جواب: هو الذي سيقدم قومه فيوردهم النار

السؤال: مادام أنه سيوردهم النار، فهل سيدخلها معهم؟

جواب مفترى: لا أظن ذلك. لأن الذين سيصطرخون في النار هم آله:

- ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 45-46]

افتراء خطير جدا: نحن نفتري الظن بأننا لم نجد في كتاب الله دليلا واحدا يصور لنا أن فرعون موجود في النار مع آله الذين استخفهم فأطاعوه:

- ﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: 29]

فصحيح أن فرعون قد أضل قومه وما هدى (أي غيره)، إلا أن هذا لا يعني أنه لم يهتدي بنفسه:

- ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: 79]

السؤال: كيف اهتدى فرعون إلى إله موسى؟

جواب مفترى: عندما بنا له هامان الصرح، بلغ فرعون بذلك الصرح أسباب السموات والأرض، فاطلع إلى إله موسى، فوجده، فصدق قول موسى وكذب ظنه:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 36-37]

الدليل

لو دققنا في النص السابق جيدا، لوجدنا أن الله يخبرنا في هذا المقام عن كيد قام به فرعون بنفسه (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ)، ليكون السؤال الآن هو: ماذا كان كيد فرعون حينها؟

رأينا: نحن نظن أن فرعون كان يعلم الحقيقة المطلقة (بأن هناك إله واحد هو الأعلى)، ولكن كان لديه دافعا قويا يمنعه من الإفصاح بهذه الحقيقة على مسمع الملأ من قومه، فكان هذا – في ظننا- هو كيد فرعون. وربما نجلب الدليل على ذلك من ما كان من كيد إخوة يوسف بأخيهم:

- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: 5]

وكذلك كان كيد النسوة بيوسف:

- ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: 28]

وهذا ما طلبه فرعون نفسه من السحرة:

- ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ [طه: 64]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن الكيد يحمل في ثناياه إخفاء الحقيقة من أجل مطمع شخصي كما فعل السحرة مثلا:

- ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه: 69]

وقد كان مطمع السحرة هو ما تمثله الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [الأعراف: 113-114]
- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾ [الشعراء: 41-42]

وهذا الشيطان نفسه وقد كاد بنا:

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء: 76]

ولكن الله لا يترك ذلك لأنه هو أيضا يكيد ردا على كيدهم:

- ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [الطارق: 15-16]

فكان كيده متينا بعد أن يستدرج الذين كذبوا من حيث لا يعلمون:

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف: 182-183]

فتكون النتيجة على نحو:

- ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [الأنفال: 18]

السؤال: كيف حصل هذا بالنسبة لفرعون؟

جواب مفترى: كان فرعون قد دبر كيدا، فهو بذلك يخفي حقيقة يعلمها بنفسه من أجل تنفيذ غاية شخصية عنده، كما كان إخوة يوسف يفعلون. فهم قد دبّروا مؤامرة للإطاحة بيوسف من أجل أن ينفذوا غايتهم بأن يخلو لهم وجه أبيهم ويكونوا من بعد يوسف قوما صالحين. وكذلك فعلت النسوة اللاتي كدن بيوسف، فتم إخفاء حقيقة ما فعلن بيوسف من أجل تنفيذ غاية في أنفسهن. وكذلك هو فعل السحرة، فهم يخفون الحقيقة من أجل تنفيذ غاية في أنفسهم.

السؤال: ما هي الحقيقة التي كان يعلمها فرعون؟

جواب: أن هناك إلها هو الأعلى

سؤال: وما هي الغاية من إخفاء هذه الحقيقة؟

جواب: ليثبت لمن حوله بأنه هو ربهم الأعلى.

السؤال: كيف فعل فرعون ذلك؟

جواب: عن طريق بناء الصرح الذي مكّنه من أن يمدد إلى السماء بسبب لينظر ما حل بكيده:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج: 15]

نتائج مفتراة
كان لفرعون كيد
كان هناك ما يغيظه
مد فرعون بسبب إلى لسماء
كان الهدف من ذلك هو أن ينظر (هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ)

الدليل

دعنا نرجع إلى القصة من بدايتها. فها هو موسى يقدم الآيات على صدق دعوته، فما يكون من آل فرعون إلى أن يقدّموا المشورة لفرعون بأن يأتي بكل ساحر عليم للإطاحة بسحر موسى (كما زعموا):

- ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾ [الأعراف: 111-112]

فيرسل فرعون دعوته هذه في كل اتجاه ليأتوه بأولئك السحرة العالمين بفن السحر، ويضمن رسالته لهم العبارة التالية التي تشير أن موسى ومن معه غائضين لفرعون وآله:

- ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ [الشعراء: 53-55]

السؤال: كيف غاظ موسى ومن معه فرعون وآله؟

رأينا: نحن نفتري القول بأن الغضب من الآخر والحنق عليه هو أحد أهم سمات من كان في قلبه غيظا. فهذه جهنم نفسها تغيظ:

- ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢﴾ [الفرقان: 12]
- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨﴾ [الملك: 8]

وحنق الكافرين من المؤمنين لا يمكن إخفاءه أو كظمه:

- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ [آل عمران: 119]

وكذلك هو غيظ المؤمنين من الكافرين:

- ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ [التوبة: 14-15]

ولكن الله طلب من المؤمنين كظم غيظهم:

- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: 134]

ولا شك عندنا أن الغيظ يكون من طرف تجاه طرف آخر. كما لا شك أن الغائظ لا يمتلك ما للمغيظ، فأنت تغيظ شخصا ما لأنك لا تملك ما عنده، فانتصار المؤمن يغيظ الكافر والعكس صحيح:

- ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ

ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [التوبة: 120]

- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ [الفتح: 29]

ولكن الله - لا شك- قد ردّ الكافرين بغيظهم فلم ينالوا خيرا:

- ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: 25]

نتيجة: إن ما يهمنا قوله هو أن فرعون وآله كان هم المغيظين وكان موسى ومن معه هم الغائظون لهم كما جاء في رسالة فرعون للسحرة الذين أرسل إليهم في المدائن:

- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ [الشعراء: 53-55]

فكان موسى حينئذ (كغائظ) في مكانة أفضل من فرعون (كمغيظ)، لذا كان فرعون بحاجة أن يذهب غيظ قلبه من موسى ومن معه، فما تبقى أمامه إلا الإستراتيجية التالية:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ [الحج: 15]

نتيجة مفتراة: كان لابد لفرعون أن يمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ.

السؤال: ماذا كان كيد فرعون؟ وكيف كان كيدُه سيذهب ما كان يغيظ؟

جواب مفترى: عندما جاء موسى فرعونَ وقومه بالآيات كلها، كانت ردة فرعون تتمثل في أنه كذب وأبى:

- ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ [طه: 56]

ولم يقف عند هذا الحد، ولكنه أرسل في المدائن حاشرا السحرة، متحدا موسى بكل ما أراه من الآيات:

- ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨﴾ [طه: 57-58]

وتحصل المواجهة بين الطرفين، فتكون الغلبة لموسى ومن معه:

- ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾ [الأعراف: 117-119]

وينظم السحرة إلى ركب موسى ومن معه:

- ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾ [الأعراف: 120]

فيشكل ذلك حنقا وغيظا في قلب فرعون وملئه، فيحاول فرعون أن يجد العلة في سبب عدم نصرته، فهو قد وصل إلى قناعة بأن الله لن ينصره على موسى بعدما قدم له الآيات كلها، فما كان منه إلا أن يحاول أن يبحث بنفسه عن السبب:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾ [الحج: 15]

وهنا (نحن نفتري القول) تحصل المحاجة بين الطرفين. فينبري من بين القوم ذلك الرجل من آل فرعون الذي يكتم إيمانه ليقدم حجته ليساند فيها حجة موسى على فرعون وآله. وانظر – إن شئت- الآيات في سياقها الأوسع:

- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ

يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٣ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ۝٣٥﴾ [غافر: 23-35]

وفي هذه اللحظة (نحن لازلنا نفتري القول) يتخذ فرعون قراره بالطلب من هامان أن يبني له ذلك الصرح الذي يمكنه من بلوغ الأسباب فيطلع إلى إله موسى، فتأتي الآيات التالية مكمّلة للسياق السابق الذي تحدث فيه الرجل الذي يكتم إيمانه:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ۝٣٧﴾ [غافر: 36-37]

نتيجة: لما كان هذا هو طلب فرعون نفسه، لم يكن لهامان خيارا إلا أن ينفذ قرار ربه الأعلى (أي فرعون)، فقام ببناء الصرح الذي يمكنه من فعل ذلك.

السؤال: كيف كانت الآلية؟

جواب مفترى: نحن نظن أن فرعون نفسه قد شرح الآلية التي يتم من خلالها بناء الصرح، فكانت على النحو التالي:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ [القصص: 38]

نتيجة: لكي يتم بناء الصرح لابد أن يمر أولا بمرحلة الوقود على الطين، فكيف تتم ذلك؟

جواب: نحن نفتري الظن بأن الوقود على الطين يتطلب إيجاد النار:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١﴾ [آل عمران: 10-11]

لذا قام هامان بالوقود على النار ثم جعل فوق ذلك صرحا هو الذي استطاع فرعون من خلاله أن يبلغ أسباب السموات والأرض فيطلع إلى إله موسى من هناك.

السؤال: كيف يمكن أن نتخيل ذلك؟

جواب: نحن نظن أن صرح فرعون كان في ماهيته يشبه صرح سليمان:

- ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 44]

الذي بناه الجن (الشياطين) له:

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: 35-38]

وهو الذي خر سليمان منه عندما مات:

- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: 14]

نتيجة: الصرح هو بناء مرتفع في السماء، يوقد تحته على الطين، فيرتفع إلى أعلى بقوة النار، ويستطيع من يقطن فيه أن يطلع إلى أسباب السموات والأرض (للتفصيل انظر مقالتنا: مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب العرش و باب الساق)

السؤال: ما الفرق بين صرح سليمان الذي بنته الشياطين (الجن) له وصرح فرعون الذي بناه له هامان؟

جواب: كان صرح سليمان صرح ممرد من قوارير:

- ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 44]

بينما لم يكن صرح فرعون ممردا، وذلك لأن البناء كان على يد هامان ولم يكن على يد شيطان مارد.

السؤال: وهل كان بناء هذا الصرح استثنائيا في آل فرعون؟

جواب: كلا، نحن نظن أن تلك الحرفة كانت منتشرة في قوم فرعون. فهذا فرعون يطلب من هامان بناء صرح له، فما كان من هامان أن يستفسر من فرعون عن ماهية ما يطلب وذلك (نحن نظن) لأنه كان خبيرا بذلك.

السؤال: كيف عرف هامان على الفور ما كان يريده فرعون منه؟

جواب: لأن ذلك كان منتشرا في قوم فرعون.

السؤال: أين الدليل على ذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الآية الكريمة التالية (كما نفهمها بالطبع) تقدم لنا دليلا على هذا الافتراء الذي هو لا شك من عند أنفسنا، فلنقرأ الآية الكريمة ثم نحاول بعد ذلك ربطها بفحوى النقاش هنا:

- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: 137]

التساؤلات

⇐ ألم يدمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه؟
⇐ ألم يدمر الله ما كانوا يعرشون؟
⇐ فما الذي كان يصنعه قوم فرعون فدمره الله؟
⇐ وما الذي كان يعرشه فرعون وقومه فدمره الله؟

جواب مفترى: لعل أهم ما كان يميز ما كان يصنع فرعون وقومه هو السحر:

- ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: 69]

لكن إذا كان الله - لا شك عندنا- قد دمّر ما كان يصنع فرعون وقومه من السحر، فما الذي كان قوم فرعون يعرشون فدمره الله؟

جواب: لا شك إذن أن قوم فرعون لم يكن محترفين صنعة السحر فقط، ولكنهم كانوا (نحن نفتري القول) محترفين مهمة التعريش، أي بناء العروش (إن صح القول).

السؤال: وكيف ذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أن لهذا علاقة مباشرة بعلم العرش:

- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: 129]

السؤال: من أين جاء قومَ فرعون هذا العلم، أي علم بناء العرش (وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ)؟

جواب مفترى: إنه جزء من علم يوسف نفسه، فهو أساسا من رفع أبويه على العرش في أرض مصر من ذي قبل:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: 100]

السؤال: أين ذهب هذا العلم، هل انتهى تماما وإلى الأبد؟

رأينا: كلا، فهو لا شك قد انتهى في أرض مصر بعد أن دمر الله ما كانوا يعرشون، ولكن بقاياه (نحن نظن) قد وجدت في مكان آخر، عند تلك المرأة التي كانت تملك قومها في سبأ:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 23]

تخيلات مفتراة: عندما كان يوسف متواجدا في أرض مصر، كان عنده عرش، فقام برفع أبويه عليه يوم أن دخلوا عليه أرض مصر:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: 100]

فأصبح هذا العلم (بناء العرش) علما متوارثا في بني إسرائيل في أرض مصر، حتى حصل النزاع بينهم بعد هلاك يوسف:

- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر: 34]

فارتبط ذلك بيوسف في أرض مصر، ثم انتقل بعد ذلك (نحن لازلنا نفتري القول) إلى آل فرعون عندما استتب لهم الحكم في أرض مصر. ولو راقبنا الآية السابقة في سياقها الأوسع لوجدنا (نحن نزعم القول) ارتباط هلاك يوسف بطلب فرعون من هامان بناء الصرح له واضحا:

- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥ وَقَالَ

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 34-37]

فأصبحت صنعة بناء العروش علما (وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ) وافرا في أرض مصر زمن الفراعنة، ومن هنا نحن نظن جاء طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحا (كعرش) ليطلع من خلاله إلى إله موسى.

السؤال: أين البرهان أو الدليل على ذلك؟

رأينا: لمّا كان الله قد دمّر ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ)، فلن نتوقع إذن أن نجد أثارة من علم تدلنا على ذلك كله، ولكن من الممكن (نحن نتخيل) أن نجد بقايا ذلك الدمار. أي بقايا تلك العروش المدمرة.

السؤال: وأين هي؟

رأينا: نحن نظن أن بقاياها موجودة في الأماكن التي تشير إليها الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ [الفجر: 10]

وانظر - إن شئت- في ارتباط تلك الأوتاد بالارتقاء بالأسباب (موضوع طلب فرعون من هامان):

- ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [ص: 10-12]

السؤال: فما هي الأوتاد؟

رأينا: إنها ما يشبه الجبال.

- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: 6-7]

السؤال: وأين نجدها؟

جواب: ابحث في أرض مصر عن الأرض التي هي مهادا، أي منبسطة وفيها أوتادا (كالجبال) من صناعة بشرية.

السؤال: وما هي؟

رأينا: إنها أهرامات مصر الخالدة، ففيها يمكن أن نجد تلك العروش التي بنيت لبلوغ الأسباب (أسباب السموات والأرض) للاطلاع على الإله الذي في السماء (كما كانوا يظنون). ومن هناك بلغ فرعون الأسباب عندما مد بسبب إلى السماء، فاطلع إلى إله موسى بعدما بنا له هامان صرحا، فكان فيها ما يشبه شاشة المراقبة التلفزيونية التي تبين الخريطة السماوية التي بحث فيها فرعون عن إله موسى فوجده، فعلمه، فما كان كيده قد أذهب غيظ قلبه:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: 15]

تساؤلات

⇐ لماذا فعل فرعون ذلك؟
⇐ لماذا أصر فرعون على موقفه؟
⇐ ماذا كان غيظ قلبه
⇐ لماذا تراجع فرعون عن موقفه عندما أدركه الغرق؟
⇐ كيف أقنع فرعون من هم حوله بحجته؟
⇐ الخ
⇐ تساؤلات في الخيال العلمي
⇐ هل سيقتنع علماء "المصريات" بسر بناء هذه الصروح الخالدة؟
⇐ هل سنجد من يبحث لنا عن أثارة من علم ترشدنا أن القوم كانوا يبلغون من خلالها أسباب السموات والأرض، فيطلعون إلى أهل السماء من هناك؟ وهل سيرضون بزعمنا أن جل المفقود منها هي تلك العروش (شاشات العرض) التي دمرها الله بعدما أورث القوم المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها؟

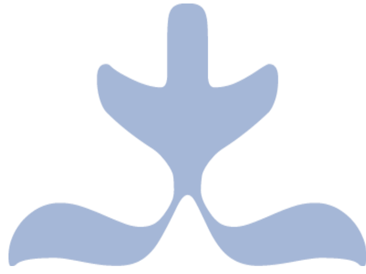
- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: 137]

من يدري؟ لنسأل صاحبنا في الادكار عصام درويش (خبير الآثار في أرض مصر) أولا، علّه يسعفنا بآثارة من علم تدلنا على ذلك.

فالله وحده نسأل أن يعلمنا ويعلمه ما لم نكن نعلم، وأن يعلمنا فلا نفتري عليه الكذب ونحن نعلم، وأن يزدنا علما، إنه هو العليم الحكيم - آمين.

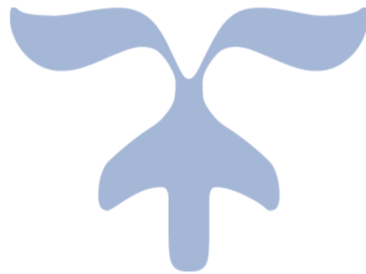
والله أعلم.

المدّكرون: رشيد الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح
26 آب 2014



قصة يأجوج ومأجوج

الجزء الخامس



قصة يأجوج ومأجوج – الجزء الخامس

زعمنا في نهاية الجزء السابق من هذه المقالة بأن عروش آل فرعون التي دمرت بعد أن نزل العقاب الإلهي بهم موجودة في الأهرامات المصرية، وبعثنا برسالة استعانة إلى صديقنا عالم الآثار المصرية عصام درويش للبحث عنها، ولكن جاءنا الخبر سريعا من عنده على غير ما ظننا، فقد أكد لنا أن الأهرامات نفسها تخلو من مثل تلك العروش، ولكنه بعث لنا في الوقت ذاته بالصور التالية التي تبين (نحن نزعم الظن) بقايا تلك العروش من أرض مصر الخالدة:

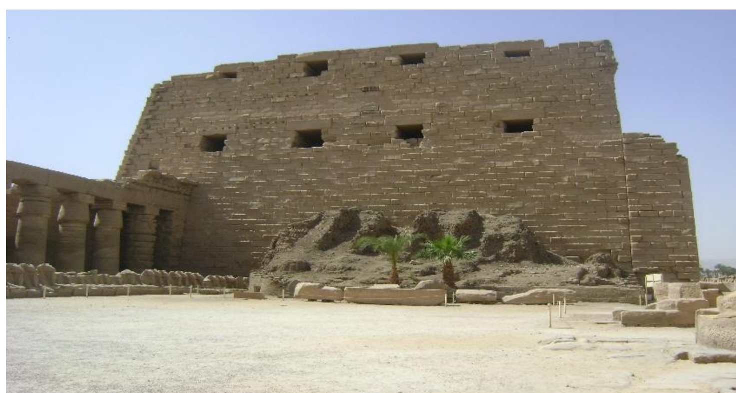









نهاية الرحلة







وسنحاول في هذه المقالة تقديم افتراءات هي من عند أنفسنا للترويج للفكرة التالية: أن هذه البلاد هي الأرض التي بنيت فيها العروش، وهي التي جاء منها ذلك العلم الذي مكن فرعون من الاطلاع إلى إله موسى:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص: 38]

وهناك – نحن نفتري الظن- أوقد هامان لفرعون على الطين فجعل له صرحا استطاع من خلاله أن يبلغ الأسباب، أسباب السموات والأرض:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: 36-37]

تساؤلات

⇐ من الذي بنا هذه العروش؟
⇐ لماذا بنيت هذه العروش؟
⇐ كيف بنيت؟
⇐ متى بنيت؟
⇐ كيف دمرت؟
⇐ متى دمرت؟
⇐ من الذي استفاد من العلم المكنون فيها؟
⇐ أين ذهب ذلك العلم المكنون فيها؟
⇐ الخ

هذه تساؤلات سنحاول أن نقحم أنفسنا فيها في هذا الجزء الجديد من المقالة، سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا فلا نكون من الذي يفترون عليه الكذب ليضلوا الناس بغير علم، وأعوذ بك ربي أن أكون من القوم الظالمين - آمين.

أما بعد،

للخوض في هذا الموضوع وجدنا لزاما علينا أن نجلب بداية بعض الافتراءات ذات العلاقة بالموضوع قيد البحث هنا والتي وردت في مقالات سابقة لنا، وهي على وجه التحديد: قصة يوسف، قصة موسى وقصة سليمان. لذا ربما يكون من المفيد لمن أراد أن يتبين وجاهة ما نطرح أن يقرأ (وربما أن يعيد قراءة) ما افتريناه من عند أنفسنا في تلك المقالات السابقة، وسنحاول إعادة تسطير الخطوط العريضة ذات

العلاقة التي وردت في تلك القصص، ثم ننطلق من هناك إلى تقديم تصورنا المفترى الجديد لهذه العروش التي دمرت في أرض مصر بعد هلاك فرعون وآله.

من قصة يوسف

ما أن مكّن الله ليوسف في أرض مصر بعد أن كلّم الملك:

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 54-56]

حتى أصبح بنو إسرائيل هم ملوك الأرض هناك بعد أن كانت النبوة فيهم:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: 20]

وأصبح العلم فيهم وفيرا خاصة العلم الذي كان ليوسف:

- ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: 55]

ولما كان يوسف عليما، بينما كان يعقوب ذا علم:

- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: 68]

فقد افترينا الظن بأن يوسف فوق يعقوب في العلم:

- ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: 76]

لأن يوسف كان يملك بناصية نوعين من العلم.

(1) الذي حصل عليه من أبيه يعقوب وهو علم تأويل الرؤيا:

- ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: 5]

(2) العلم الذي حصل عليه من أبيه الآخر الذي اشتراه من مصر ورباه عنده في الأرض المقدسة، وهو علم تأويل الأحاديث:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: 21]

نشأ يوسف في بيت الذي رباه وأحسن مثواه:

- ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: 23]

وما أن كبر حتى وجد أولئك القوم الذين تربى فيهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فترك ملتهم، متبعا ملئه آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب وهي عقيدة التوحيد:

- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: 37-38]

لأنه يعلم السنة الإلهية الخاصة بمن كان مستضعفا في الأرض، ألا وهي الهجرة، متمثلا قول الحق:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: 97]

فانتقل يوسف (نحن نفتري القول) من تلك الأرض التي حصل له فيها التمكين الأول، حيث كان يسكن ذلك الرجل الذي اشتراه من مصر:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: 21]

إلى أرض مصر التي سيحصل له فيها التمكين الثاني:

- ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 55-56]

فسار يوسف في رحلته هذه على خطى جده الأول إبراهيم الذي انطلق إلى أرض مصر (نحن نفتري القول) بعد حادثة النار، فحط به الترحال عند الذي آتاه الله الملك فحاج إبراهيم في ربه:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258]

وكذلك انتهت الرحلة بيوسف في بيت ملوك مصر ، وهم كما افترينا في تلك القصة من سلالة ذاك الذي آتاه الله الملك وحاج إبراهيم في ربه، فأصبح يوسف يعمل في بيت تلك المرأة (امرأة العزيز)، فحصلت القصة برمتها هناك:

- ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: 23]

ما أن رأى الملك تلك الرؤيا الشهيرة:

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: 43]

حتى كان يوسف هو من يستطيع أن يؤولها فقط في أرض مصر مستعينا بالعلم الذي جاء به من عند أبيه يعقوب، فيعقوب هو من قص يوسف عليه رؤياه الأولى، وطلب منه أن لا يقصص رؤياه على إخوته لأنهم ببساطة سيستطيعون تأويلها، فكان علم تأويل الرؤيا (نحن نظن) موروثا في بيت النبوة وذلك لأن جدهم الأول إبراهيم هو أول من أوّل رويا المنام:

- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: 102]

نتيجة مفتراة: تلقى يوسف علم تأويل الرؤيا من أبيه يعقوب، فأصبح ذا علم

لكن يوسف كان يملك بناصية نوع آخر من العلم تلقاه من أبيه الآخر وهو الذي اشتراه من مصر ورباه في بيته، وهو علم تأويل الأحاديث:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: 21]

نتيجة: أصبح يوسف ذا علم آخر، فتميز يوسف عن والده يعقوب وعن باقي إخوته، فكانت تلك نعمة الله التي أتمها على يوسف كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحق ولم يتمها على يعقوب وبنيه الآخرين:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: 6]

فلم يكن علم تأويل الأحاديث بحوزة أبيه يعقوب، فكان يعقوب ذا علم، وأصبح يوسف ذا علم وذا عليم، أي عليم.

أب يوسف الأول وهو يعقوب كان ذا علم (تأويل الرؤيا)

أب يوسف الثاني وهو ...... كان ذا علم (تأويل الأحاديث)

يوسف ذا علم (تأويل الرؤيا) + ذا علم (تأويل الأحاديث) = عليم

وقد كان حصول يوسف على هذا العلم (في ظننا) أحد أهم الأسباب التي دعت به للخروج من بيت أبيه الأول يعقوب، فقد طُرح يوسف أرضا (أي أخرج من بلاده الأولى إلى المنفى) لكي يتلقى علم تأويل الأحاديث الذي لم يكن متوافرا عند يعقوب نفسه، فيكون في ذلك تمام نعمة الله عليه. الأمر الذي لم يكن بحسبان إخوته الذين كادوا به:

- ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: 30]

فما أن وصل يوسف إلى سوق مصر حتى وجده ذلك الرجل الصالح، فاشتراه بعد أن كان الجميع فيه من الزاهدين:

- ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف: 20]

فحصل ليوسف في بيت هذا الرجل التمكين الأول في الأرض:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: 21]

فوجد يوسف في بيت الرجل الذي اشتراه من مصر العلم الذي لم يكن متوافرا في بيت أبيه يعقوب، وهو علم تأويل الأحاديث، فما أن بلغ أشده حتى كان الله قد آتاه حكما وعلما:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: 22]

فتعلمه وأصبح يستطيع ممارسته:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: 21]

وقد طبق يوسف ذلك العلم في السجن على أرض الواقع عندما (نحن نظن) كان ينبئ صاحبيه فيه بما كان يأتيهما من طعام يرزقانه:

- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: 37]

وقد افترينا القول في سلسلة مقالاتنا تحت عنوان قصة يوسف أن علم تأويل الأحاديث هو الإخبار المسبق عن الأحداث التي وقعت قبل وصول خبرها، فيوسف كان يعلم الطعام القادم إلى صاحبيه السجن قبل أن يأتيهما، وكذلك أخبرهما بالحكم الصادر في المحكمة بحقهما قبل أن يأتيهما الخبر، وهكذا:

- ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: 41]

وقد زعمنا أن يوسف كان يستطيع ذلك بما يملك من علم تأويل الأحاديث المستند كليا على وجود العرش، أي شاشة المراقبة عن بعد. (للتفصيل انظر مقالتنا: ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب العرش).

وربما يدل على ذلك أيضا ما فعله يوسف عندما دخل عليه أبواه مصر، فقد رفعهما الاثنين على العرش ولكنه طلب من واحد منهم فقط (وهو يعقوب) أن ينظر فيه:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: 100]

وذلك لأن أباه الأخر كان يملك هذا العلم، فهو أصلا من تعلم يوسف هذا العلم على يديه. وسنحاول عند متابعة حديثنا في سلسلة مقالتنا عن قصة يوسف التعرض لشخصية هذا الرجل.

سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، إنه هو الواسع العليم - آمين.

باب العرش: يعرشون

بعد هذا السرد لأحداث قصة يوسف (كما نتخيلها قد حصلت على أرض الواقع)، فإننا نفتري القول إذن بأن علم العرش كان متوافرا عند يوسف، فأصبح ذلك معروفا في أرض مصر، فأخذ بنو إسرائيل عندما استتب لهم الأمر في أرض مصر هذا العلم عن يوسف، فأصبحوا قادرين عليه، فكانوا يعرشون، أي يستطيعون بناء عروش تمكنهم من معرفة ما يجري حولهم، وبالتالي مراقبة الأمر عن بعد، كما كانت تفعل تلك المرأة التي كان تملك قومها بسبب ذلك العرش الخاص بها:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 23]

السؤال: كيف وصل على صناعة العروش إلى أرض مصر؟

جواب: عن طريق يوسف، فهو الذي جلب هذا العلم إلى أرض مصر.

السؤال: ومن أين جاء به يوسف؟ أي من أين تعلمه؟

جواب: من بيت ذاك الرجل الذي اشترى يوسف من مصر.

السؤال: وأين كان يسكن هذا الرجل؟

جواب: نحن نظن أن الرجل لم يكن يسكن مصر لأنه اشترى يوسف من مصر.

السؤال: وأين كان يسكن؟

جواب: في أرض أخرى غير أرض مصر.

الدليل

نحن نظن أن الله قد مكن ليوسف في الأرض مرتين، فقد جاءه التمكين الأول بعد أن اشتراه ذلك الرجل من مصر وعاد به إلى بيته:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: 21]

وكذلك حصل ليوسف تمكين آخر في الأرض بعد أن كلم الملك (أي ملك مصر) بعد خروجه من السجن:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 56]

السؤال: هل الأرض التي مكن الله ليوسف فيها في المرة الأولى هي الأرض نفسها التي مكن الله له فيها في المرة الثانية؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا. فالتمكين الثاني حصل ليوسف في أرض غير الأرض التي حصل له فيها التمكين في المرة الأولى.

سؤال: إذا كان التمكين الثاني قد حصل له في أرض مصر بدليل أن ملك مصر هو من كلمه:

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: 54]

فأين – يا ترى- حصل له التمكين الأول؟ نحن نسأل.

جواب مفترى: نحن نظن أن التمكين الأول قد كان في غير أرض مصر، لأن صفقة شراء يوسف حصلت في أرض مصر:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: 21]

السؤال: أين كان هذا الرجل الذي اشترى يوسف من سوق مصر يسكن؟ وأين كانت أرضه التي أخذ يوسف معه إليها وحصل ليوسف فيها التمكين الأول؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نفتري القول بأنه كان يسكن في أرض تقع إلى الجنوب من أرض مصر

لتصبح خارطة رحلة يوسف على النحو التالي:

يعيش يوسف في بيت والده يعقوب في البدو، وهي المنطقة التي زعمنا أنها أرض بئر السبع في صحراء النقب. الواقعة على الأطراف الشمالية لأرض مصر التاريخية. يُطرح يوسف أرضا على يد إخوته هناك، فيلتقطه بعض السيارة، ويذهبون به جنوبا إلى سوق مصر، وهناك يعرضوه للبيع، لم يجدوا من يريد شراء هذا الغلام لما أصابه (نحن نتخيل) من تعب وضعف في جسده جراء عناء الرحلة، فكان الجميع فيه من الزاهدين بمن فيهم أولئك الذين وجدوه في غيابة الجب واستبشروا به وأسروه بضاعة:

- ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [يوسف: 19]

ما أن كان السوق حينها على انقضاء (نحن نتخيل) حتى جاء من بعيد رجل يظهر عليه علامات السفر قادما من الجنوب، وما رأى يوسف حتى عرفه، واشتراه من الذين كانوا فيه من الزاهدين بثمن بخس دراهم معدودة:

- ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف: 20]

رجع هذا الرجل بيوسف إلى بلاده متجها جنوبا، ومبتعدا بيوسف أكثر عن بلاده الأصلية، وما أن أوصل هناك حتى دخل بيته وعرف امرأته عليه طالبا في الوقت نفسه منها أن تكرمه:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: 21]

فبلغ يوسف أشده هناك، وهناك آتاه الله حكما وعلما:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف: 22]

وهناك عاش يوسف بين قوم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فتركهم وهاجر شمالا إلى أرض مصر من جديد:

- ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: 37]

متبعا لملة آباءه إبراهيم وإسحق ويعقوب:

- ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: 38]

وهناك في ارض مصر حصلت معظم الأحداث الرئيسة في قصة يوسف منذ حادثة المراودة:

- ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: 23]

حتى طلب يوسف نفسه اللحاق بالركب من عباد الله المخلصين بالوفاة بالموت:

- ﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: 101]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: تربى يوسف في بيت الذي اشتراه من مصر في بلاد تقع إلى الجنوب من أرض مصر التاريخية، فأين هي تلك البلاد؟

رأينا: إنها ما يعرف اليوم بمنطقة أسوان ذات العروش المدمرة والتي تبعد ما يزيد عن ستمائة كيلومترا إلى الجنوب من أهرامات الجيزة، والتي جاءتنا بعض صورها من الأخ عصام درويش كهذه مثلا:



ولكي يستجلي القارئ الكريم صور تلك المنطقة بآثارها الخالدة، فعليه أن يفتح الرابط التالي: معبد الكرنك.

السؤال: ماذا تسمى هذه الأرض التي تربى فيها يوسف وتعلم فيها علم تأويل الأحاديث والتي تقع إلى الجنوب من أرض مصر التاريخية في النص القرآني؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه: إنها سبأ

- ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ: 15]

وهي الأرض نفسها التي جاء الهدهد بخبر منها إلى سليمان:

- ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: 22]

وهي الأرض نفسها التي كانت تلك المرأة تملك قومها فيها، ولها هناك عرش عظيم:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 23]

وهي المنطقة نفسها التي كان القوم فيها يعبدون الشمس في ذلك الوقت:

- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ [النمل: 24]

وسنحاول (إن أذن الله لنا الإحاطة بشيء من علمه) أن نتحدث عن كيفية حصول تلك المرأة على عرش عظيم عندما نتابع (بحول الله وتوفيقه) حديثنا المفترى في مقالتنا عن قصة سليمان تحت عنوان ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته.

فالله وحده أسأل أن ينفذ أمره بمشيئته وإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد من بعدي إنه هو العليم الحكيم -

آمين).

إن ما يهمنا قوله هو الافتراء التالي: لقد جاء يوسف إلى أرض مصر يحمل في جعبته علما تعلمه من تلك البلاد التي حصل له فيا التمكين الأول:

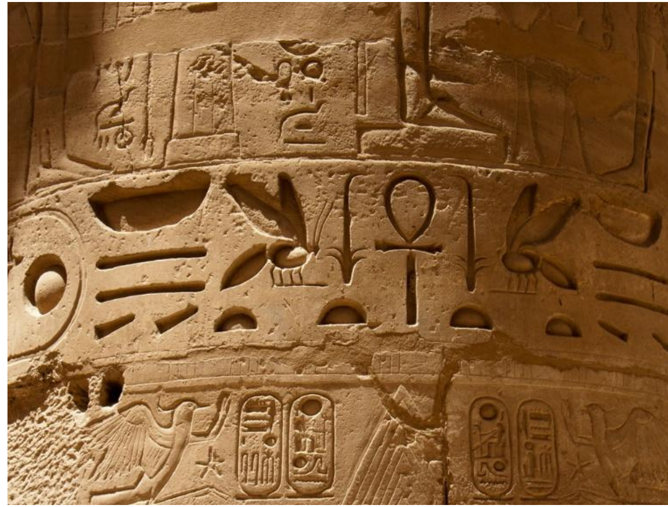
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: 21]

وطبق هذا العلم على أرض الواقع في أرض مصر التي حصل له فيها التمكين الثاني:

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 54-56]

فأصبح هذا العلم متوافرا في أرض مصر منذ قدوم يوسف به إليها من أرض سبأ.

ومن أراد المجادلة، فعليه بأخينا عصام درويش الذي بعث لنا بالرسومات التالية:





فهم الأقدر على تفكيك هذه الرمز الأثرية الخالدة، التي لازالت (نحن نفتري القول) شاهدة على ما حصل حينئذ.

عودة على بدء

ما أن هلك يوسف في أرض مصر حتى دب الخلاف بين بني إسرائيل أنفسهم:

- ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ٣٤﴾ [غافر: 34]

فاستغل أهل مصر الأصليين هذا الخلاف في بني إسرائيل، فاستطاعوا أن يستعيدوا ملك مصر من أيدي بني إسرائيل، فقامت ثورة المصرين (نحن نتخيل) ضد بني إسرائيل الذين جاءوا هذه البلاد (أي مصر) من البدو أصلا:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: 100]

فتغير نظام الحكم (نحن لا زلنا نتخيل) من النظام الملكي الذي يؤيده بنو إسرائيل إلى النظام الفرعوني الذي يؤيده المصريون أصحاب البلد الأصليين، فأصبح حكام مصر منذ تلك اللحظة يعرفون بالفراعنة بدلا من الملوك، فتغير اللفظ من الملك في قصة يوسف:

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: 43]
- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠﴾ [يوسف: 50]
- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ٥٤﴾ [يوسف: 54]

إلى فرعون في قصة موسى:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ٧٩﴾ [يونس: 79]
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص: 38]
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: 26]

من قصة موسى

عندما استتب الحكم في أرض مصر للفرعون الأول وآله، تمادوا في تقتيل أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم:

- ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: 141]

فحل الأذى ببني إسرائيل في أرض مصر قبل ومن بعد مجيء موسى:

- ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: 129]

فبدأت أحداث قصة موسى في أرض مصر، فقد ولد لبني إسرائيل غلاما اسمه موسى، فكانت جل رسالته هو إخراج بني إسرائيل من أرض مصر:

- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: 104-105]

فقد كان موسى كنبي من بني إسرائيل وكرسول الله إلى فرعون وقومه مقرا للفراعنة بحقهم التاريخي في أرض مصر، طالبا في الوقت ذاته توقف استعبادهم فيها:

- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: 22]

وإرسالهم معه إلى الأرض المقدسة التي كتب الله لهم:

- ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: 21]

فكيف بدأت القصة من أولها؟

ما أن ولد موسى حتى كان الله قد توفى والده بالموت (ربما على أيدي آل فرعون، وسنتحدث عن ذلك بحول الله وتوفيقه عند متابعة افتراءاتنا عن الموضوع في مقالتنا تحت عنوان قصة موسى).

فالله وحده نسأل أن يعلمنا ما لم نكن نعلم – آمين.

فنشأ موسى يتيم الأب، لا يجد حوله من يسانده إلا أمه التي ولدته وأخته التي تكبره في السن والتي ذهبت تقص أثره عندما ألقته أمه في اليم:

- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ [القصص: 11]

ونحن نفتري القول بأنه ما أن وضعت أم موسى طفلها حتى أرضعته حولين كاملين:

- ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٣٣﴾ [البقرة: 233]

وما أن انتهت فترة رضاعته (بعد تمام الحولين كاملين) حتى خافت عليه من أن يظهر عليه آل فرعون، فجاءها الوحي الإلهي بأن تلقي بمولودها في التابوت فتلقيه في اليم وأن الله لا محالة راده إليها:

- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: 7]

بعد أن يأخذه عدو الله وعدوه:

- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه: 39]

(وسنتحدث عن طبيعة الوحي الخاص بأم موسى لاحقا في سلسلة مقالتنا عن قصة موسى بإذن الله وتوفيقه، فالله أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن ينفذ أمره بمشيئته وإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد من بعدي – آمين).

ولكن وجود موسى في ذلك التابوت قد ألقى عليه محبة من ربه، فكان موسى في ذلك التابوت يصنع على عين الله:

- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه: 39]

فما أن رأت امرأة فرعون ذلك الصبي مستلقيا في التابوت حتى أحبته، وأمرت بعدم قتله:

- ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ ... ۝٩﴾ [القصص: 9]

وتوجهت في الوقت ذاته بالخطاب إلى زوجها فرعون قائلة:

- ﴿... عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ... ٩﴾ [القصص: 9]

وكان السبب من وراء قولها هذا لزوجها بهذه الطريقة السرية هو أن زوجها (فرعون) لم يكن (نحن نكاد نجزم الظن) يستطيع على الإنجاب لعجز جنسي عنده لا يعلمه غيره إلا الله وزوجته التي طلبت منه الإبقاء على حياة هذا المولود من بني إسرائيل، فجاء قولها في حالة أن من حولها لم يكونوا ليشعروا بما قالت لزوجها:

- ﴿... وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [القصص: 9]

فكان قولها لزوجها على انفراد بينهما حتى لا يعلم الآخرون بما قالت المرأة لزوجها فيفتضح فرعون في واحدة من أسرار هذا المتكبر (وهو عدم قدرة فرعون على ممارسة الجنس الطبيعي مع زوجته حتى جرت المرأة بعمله معها وفضلت الموت على الحياة مع هذا الطاغية:

- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم: 11]

(للتفصيل حول عمل فرعون الذي طلبت امرأته النجاة منه انظر مقالتنا تحت عنوان: من هي زوجة موسى؟)

فسكت فرعون وألجم، فما استطاع أن يرد طلب زوجته هذا خوفا من أن يفتضح أمره، فتربى موسى سنين من عمره في آل فرعون (وليس في بيت فرعون نفسه كما قد يظن الكثيرون) كما جاء على لسان فرعون نفسه:

- ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ [الشعراء: 18]

ولكن موسى نشأ مكفولا في آل كما جاء على لسان أخته:

- ﴿۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ [القصص: 12]
- ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ [طه: 40]

وذلك لأن أمه (نحن نفتري القول) قد تزوجت برجل من آل فرعون، فأصبح موسى هو ربيب آل فرعون فلبث فيهم سنين من عمره:

- ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨﴾ [الشعراء: 18]

عندما كبر موسى (كـ إسرائيلي) في بيت من بيوت آل فرعون، ورأى بأم عينه ما حل ببني إسرائيل على يد الفراعنة، انحاز موسى إلى شيعته في شكواهم ضد فرعون، فناصب موسى هذا الفرعون العداء، فكان في شيعة غير شيعة فرعون:

- ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [القصص: 15]

وما أن طلبت امرأة فرعون من ربها النجاة من فرعون وعمله بالموت:

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: 11]

حتى وجد موسى نفسه لا يستطيع أن يواجه هذا الطاغية مواجهة مباشرة لعدم تكافئ القوة بين الطرفين، فقدْ فَقَدَ موسى أكبر مناصر له ومدافع عنه في البلاط الفرعوني وهي المرأة التي أحبته ورغبت أن يكون لها ولدا:

- ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [القصص: 9]

لذا عندما توفاها الله بالموت، لم يجد موسى (نحن نتخيل) مناصا من الهرب من مصر، فكان خروجه الأول متجها شمالا إلى الأرض المقدسة، وهناك آتاه الله حكما وعلما بعد أن بلغ أشده واستوى:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٤﴾ [القصص: 14]

وبقي موسى هاربا من أرض مصر حتى يوم موت هذا الطاغية الأكبر، عدو موسى وعدو الله الذي أخذه:

- ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۝٣٩﴾ [طه: 39]

فأصبحت المدينة كلها في غفلة لأن هذا الفرعون (عدو الله وعدو موسى) لم يكن له ولد يرثه في الحكم، فأصبحت مرحلة انتقال السلطة إلى فرعون جديد مرحلة حرجة في تاريخ مصر، فبقيت المدينة في

غفلة حينا من الزمن، وذلك للفراغ السياسي الذي أحدثه موت هذا الفرعون الذي لم يكن له وريث يخلفه في الحكم:

- ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ... ١٥﴾ [القصص: 15]

في هذه الأثناء بدأ المستعبدون في الأرض من بني إسرائيل ما يشبه التمرد على الوضع القائم. عندها دخل موسى المدينة في تلك اللحظة ليساند شيعته (بني إسرائيل) الذين بدءوا ما يشبه الثورة ضد النظام الفرعوني، فحصلت الحادثة الشهيرة التي قتل فيها موسى رجلا من عدوه مساندا الذي استغاثه من شيعته:

- ﴿... فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ١٥﴾ [القصص: 15]

وكان الحكم في تلك اللحظة (نحن لا زلنا نتخيل) في يد الملأ من آل فرعون، في غياب وجود فرعون يحكم البلاد.

أصبح موسى في اليوم التالي خائفا يترقب في المدينة نفسها، وفي هذه اللحظة استصرخه الرجل نفسه الذي استغاثه في الأمس على قتل رجل آخر من آل فرعون:

- ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ١٨﴾ [القصص: 18]

وما أن أراد موسى أن يبطش بعدوهما مرة أخرى حتى نبهه هذا الرجل من آل فرعون على سوء فعلته، فتراجع موسى على الفور:

- ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٩﴾ [القصص: 19]

في هذه الأثناء، كان الملأ من آل فرعون (وليس فرعون لأن فرعون قد مات) يأتمرون بموسى ليقتلوه، فجاءه رجل من أقصى المدينة محذرا له من تآمر الملأ به:

- ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾ [القصص: 20]

فخرج موسى من المدينة سائلا ربه أن يهديه سواء السبيل:

- ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص: 21-22]

فحط به ترحاله الثاني هذا في مدين:

- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ [القصص: 23]

وهناك عمل للرجل الصالح الذي أنكحه إحدى ابنتيه لقاء أن يأجره ثمان أو عشر حجج:

- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: 27]

وانتهت ثورة بني إسرائيل الجديدة بخروج موسى واعتلاء فرعون جديد سدة الحكم. وقد كان هذا الفرعون الجديد رجلا صاحب حنكة ودهاء، والأهم من هذا كله أنه كان رجلا صاحب علم عظيم (وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا بحول الله وتوفيقه، إن شاء إنه هو السميع العليم).

لما قضى موسى الأجل في مدين، سار بأهله متوجها مرة أخرى إلى الأرض المقدسة التي عاش فيها فترة من الزمن والتي آتاه الله حكما وعلما فيها حتى وصل إلى الواد المقدس وآنس من جانب الطور نارا:

- ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ [القصص: 29]

وهناك كلّمه الله، فاختاره الله ليوحي إليه:

- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: 11-13]

وبعثه إلى فرعون رسولا لعله يتذكر أو أن يخشى:

- ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤﴾ [طه: 24]

مقرا لفرعون بحكم مصر مقابل أن يرسل معه بني إسرائيل:

- ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: 47]

فطلب موسى من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون لفصاحته:

- ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢﴾ [طه: 29-32]

فشد الله عضد موسى بأخيه هارون لفصاحته:

- ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٣٥﴾ [القصص: 34-35]

فتردد بداية في الذهاب بسبب الذنب الذي ارتكبه فيهم من قبل:

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝١٤﴾ [الشعراء: 12-14]

فجاءه التطمين الإلهي بأنه معهما يسمع ويرى:

- ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء: 15]
- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: 46]

بقي الرجل الذي كفل موسى بالزواج من أم موسى مؤثرا أن لا ينكشف أمره، فبقي مجهول الهوية (الاسم) رغبة منه في المحافظة على موسى. كانت أم موسى قد أنجبت من هذا الرجل غلاما آخر هو هارون، الأخ غير الشقيق لموسى (أي ابن أمه):

- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠﴾ [الأعراف: 150]
- ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝٩٤﴾ [طه: 94]

فكان هارون من آل فرعون وكان موسى من بني إسرائيل، فكان لكل واحد منهما آل يختلف عن الآخر:

- ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٤٨﴾ [البقرة: 248]

بقي هذا الرجل الذي كفل موسى يكتم إيمانه حتى تلك الساعة التي تغلب فيها موسى ومن معه على فرعون وملئه بعد حادثة قهر عصا موسى لحبال وعصي السحرة في يوم الزينة:

- ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝١١٩﴾ [الأعراف: 117-119]

وبعد انقلابهم إلى ديارهم مغلوبين صاغرين مادام أن المواجهة الفعلية قد تمت في مكان سوى بينهما:

- ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: 58]

حصلت بعدها مواجهة كلامية (خطابية) بين الطرفين، عندها (نحن نتخيل) انبرى هذا الرجل الذي يكتم إيمانه من آل فرعون من بين الحضور ليقدم حجته مساندا موسى:

- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾ [غافر: 28-29]

فكان هذا الرجل (نحن نفتري الظن مما فهمناه من قوله هذا) يعلم علما لا يمكن أن يكون إلا لمن كان رسولا (أو نبيا). فتحدث عن ما حلّ بالقرون الأولى، وحذر القوم من الآخرة ومن سوء العاقبة، وتنبأ لهم بوقوع العذاب الرباني عليهم:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [غافر: 30-33]

فكان هو الرسول الثالث الذي عزز الله به موسى وأخيه هارون:

- ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤﴾ [يس: 13-14]

فكان هو (نحن نفتري الظن من عند أنفسنا) نبي الله ذا الكفل، الذي صبر على الأذى من أهله:

- ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ [الأنبياء: 85]

ولما وجد فرعون قصورا في حجته مقابل ما قدّمه موسى من الآيات البينات، ولما وجد أن موسى قد سحب البساط من تحت قدمه، ثار حنقه، فلم يستطع أن يكتم غيظ قلبه القديم من موسى ومن معه كما جاء في رسالته إلى السحرة:

- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾ [الشعراء: 54-55]

ولما كان يظن يقينا أن الله لن ينصره، لم يجد بدا من أن يمدد بسبب إلى السماء لينظر إذا كان كيده سيذهب ما يغيظ:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج: 15]

في هذه اللحظة طلب فرعون من هامان أن يعمد إلى بناء الصرح الذي يمكّنه من بلوغ الأسباب، ليطلع حينئذ إلى إله موسى:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ۝٣٧﴾ [غافر: 36-37]

فما تردد هامان في تنفيذ طلب فرعون، وذلك لأننا نظن أنه لمّا كانت مهنة التعريش (أي بناء العروش) مستندة على علم يعلمه الملأ حينئذ كبقية من علم يوسف في أرض مصر والذي جلبه معه من سبأ، كان هامان يدرك ما سيفعل. فقام (نحن نتخيل) على الفور ببناء عرش في أعلى ذلك الصرح الذي صعده فرعون ليطلع من خلاله إلى إله موسى. فكانت تلك العروش هي منصات مراقبة للسماء (أي ما يشبه وكالة ناسا الفضائية الأمريكية في الوقت الحاضر).

صعد فرعون فوق ذلك الصرح الذي بناه له هامان، وما أن نظر في ذلك العرش حتى وجد خريطة السماء أمامه واضحة تدلّه إلى إله موسى، عندها أدرك فرعون صدق دعوة موسى وكذب ما كان يكيد. فما أذهب كيده هذا ما كان يغيظ في قلبه:

- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج: 15]

نتيجة مفتراة: أصبحت صنعة بناء العروش (وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ) علما وافرا في أرض مصر زمن الفراعنة متوارثة من علم يوسف الذي تعلمه في سبأ على يد الذي اشتراه من مصر، ومن هنا نحن نظن جاء طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحا (كعرش) ليطلع من خلاله إلى إله موسى.

السؤال: أين ذهب ذلك العلم؟ وأين الدليل أو البرهان على ذلك؟

رأينا: لمّا كان الله قد دمّر ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ)، فلن نتوقع إذن أن نجد أثارة من علم تدلنا على ذلك كله، ولكن من الممكن (نحن نتخيل) أن نجد بقايا ذلك الدمار. أي بقايا تلك العروش المدمرة.

السؤال: وأين هي؟

افتراء خطير جدا: إنها عروش سبأ

افتح الرابط التالي: معبد الكرنك

تساؤلات:

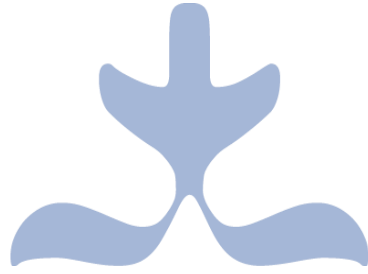
- ⇐ لماذا لم يقر فرعون لموسى بصدق دعوته في الحال؟
- ⇐ لماذا تراجع فرعون عن موقفه عندما أدركه الغرق؟
- ⇐ ألم يثق فرعون بعلم العرش الذي مكنه من الاطلاع على إله موسى؟
- ⇐ وكيف فعل ذلك؟
- ⇐ الخ

هذا ما سنتناوله (إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيه) في الجزء القادم من المقالة.

سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعل فضله وحده علينا عظيما. وأعوذ به أن نفتري

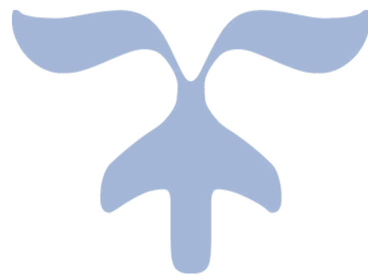
عليه الكذب أو أن نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو السميع العليم - آمين.

المدّكرون: رشيد الجراح & عصام درويش & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح
2 أيلول 2014



قصة يأجوج ومأجوج

الجزء السادس



قصة يأجوج ومأجوج – الجزء السادس

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى افتراء الظن من عند أنفسنا بأن هامان قد بنا لفرعون صرحا، ليبلغ من خلال ذلك الأسباب، فيطلع إلى إله موسى:

- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: 36-37]

وزعمنا الظن بأن هامان لم يتردد في تنفيذ طلب فرعون هذا، وذلك لأن صنعة بناء العروش كانت مستندة على علم ربما كان يعلمه بعض الملأ من مثل هامان، وكان ذلك جزءً من بقية من علم يوسف في أرض مصر والذي جلبه معه من سبأ.

كما افترينا الظن من عند أنفسنا أيضا بأن ذلك قد حصل في منطقة أسوان في صعيد مصر، وهي المنطقة التي لازالت ما تبقى من العروش المدمرة هناك دالة على آثار تلك الصنعة العظيمة. وافتح – إن شئت- الرابط التالي: معبد الكرنك.

وافترينا الظن من عند أنفسنا أن منطقة الحالية الواقعة في جنوب مصر الممتدة حتى شمال السودان (النوبة) هي المنطقة التي – في ظننا- يسميها القرآن بسبأ:

وفي تلك المنطقة نشأت حضرة عظيمة امتازت بما يلي:

1. وجود العرش

- ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 22-23]

2. السجود للشمس بسبب ما زين لهم الشيطان ليصدهم عن السبيل فلا يهتدون

- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ [النمل: 24]

3. وجود جنتان عن اليمين والشمال

- ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ: 15]

4. إعراض القوم عن شكر ربهم، فوقع عليهم العذاب بسيل العرم جزاء على كفرهم، فتبدّلت جنتاهم بجنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل:

- ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: 16-17]

5. ثم جعلت قرى ظاهرة بينهم من جهة وبين القرى التي بارك الله فيها من جهة أخرى:

- ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾ [سبأ: 18]

6. المباعدة بين الأسفار وجعلهم أحاديث وتمزيقهم كل ممزق:

- ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ [سبأ: 19]

7. تصدَّق إبليس عليهم ظنه إلا فريقا من المؤمنين:

- ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ: 20]

من قصة سليمان

يرث سليمان الحكم بعد وفاة والده داوود، فيقف خطيبا بالناس قائلا:

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: 16]

وكرجل عسكري، يكون أول ما يفعل سليمان الملك هو أن يحشر إليه جنوده من الجن والإنس والطير:

- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: 17]

فيتخلّف عن الحضور إلى طابور سليمان التفقدي هذا النمل، فيظن سليمان أنهم قد تخلفوا طواعية، وخروجا عن ملكه، ولمّا كان سليمان يظن (نحن نفتري القول) أن النمل هو من فئة الطير، ما كان منه إلا أن سار بجيشه متجها وقاصدا وادي النمل ليجبرهم على الخضوع لملكه إن لم يكن طواعية فكرها، وما أن وصل إلى هناك حتى سمع نملة تخاطب بقية النمل قائلة:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل: 18]

عندها تكون ردة فعل سليمان على النحو التالي:

- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: 19]

نعم، يتبسم سليمان ضاحكا من قولها، لأنه أدرك على الفور (نحن نفتري القول) أن تلك النمل ليست من الطير الذي كان من المفترض أن يحشر له، لذا فقد علم الآن أن تخلف النمل عن الحضور لم يكن خروجا عن ملكه وإنما لأن ذلك النمل لم يكن من الكائنات التي تفهم لغة التخاطب. فالذي جعل سليمان يتبسم ضاحكا هو قولها نفسه (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا). وذلك لأن قولها لم يكن من النوع الذي يمكن أن يفهمه سليمان لأن سليمان كان قد علّم منطق الطير كما جاء على لسانه في بداية قوله:

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: 16]

تخيلات: ما أن أتى سليمان مع جنوده من الجن والإنس والطير واد النمل قاصدا إخضاعهم لملكه حتى سمع ما قالت تلك النملة لبني جلدتها من بقية النمل، ولمّا كان سليمان قد عُلِّم منطق الطير عندها أدرك أن هذا ليس من القول المفهوم عنده، وهو من القول الذي يدعو للضحك. فأنت عندما تسمع قولا لا تفهمه لأول مرة تكون الدهشة بالتبسم وربما الضحك بادية عليك، ويعتمد ذلك على درجة غرابة القول، فكلما كان القول أكثر غرابة كانت الابتسامة أوسع، حتى ربما قد تصل إلى درجة الضحك. وهذا ما كان من قول النملة بالنسبة لسليمان. فخلص سليمان إلى أن النمل ليس من الطير، فتوقف عن مهاجمتها. (للتفصيل انظر مقالتنا ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب النمل)

عاد سليمان هناك في واد النمل ليتفقد الطير مرة أخرى على وجه الخصوص من جديد وذلك لأن المشكلة (نحن نظن) كانت أساسا تخص الطير، وهنا بالضبط لاحظ سليمان غياب الهدهد، فتوعده بالعذاب الشديد أو الذبح أو أن يأتينه بسلطان مبين:

- ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾ [النمل: 20-21]

وما هو إلا وقت قصير حتى حط ذلك الطائر (الهدهد) غير بعيد عن سليمان ليقص عليه سبب غيابه، فجاءه من سبأ بنبأ يقين:

- ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: 22]

فكان النبأ على النحو التالي:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾ [النمل: 23-26]

ولو لاحظنا هذا السياق جيدا لوجدنا أن الهدهد يعقد في رده هذا مقارنة مباشرة بين سليمان من جهة وتلك المرأة في سبأ من جهة أخرى:

سليمان	المرأة
⇐ رجل ⇐ ملك ⇐ أوتي من كل شيء ⇐ لم يكن له عرش ⇐ يسجدون لله ⇐ كانت الشياطين مسخرة لسليمان	⇐ امرأة (إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ) ⇐ تملك (تَمۡلِكُهُمۡ) ⇐ أوتيت من كل شيء (وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ) ⇐ لها عرش عظيم (وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ) ⇐ يسجدون للشمس (وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) ⇐ كان الشيطان يتلاعب بهم ليصدهم عن السبيل (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ)

ويكأن الهدهد (نحن نتخيل) يقول لسليمان: صحيح أنك رجل لك مُلك على من حولك، لكن هناك في سبأ امرأة تملك قومها (إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ)، وإذا كنت أنت قد أوتيت من كل شيء (وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ)، فقد أوتيت هي كذلك من كل شيء (وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ)، وهي تتميز عليك بشيء ليس متوافر عندك ألا وهو العرش (وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ). وهو ما ليس عندك.

ولكن – بالمقابل- هذه المرأة وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وقد زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون.

ولو تدبرنا ردة فعل سليمان أكثر لوجدنا أن ما طلبه سليمان من ملئه أن يأتوه به من سبأ هو ذلك العرش على وجه التحديد:

- ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣٨﴾ [النمل: 38]

فهو كان قد رد الهدية (المال) من ذي قبل لأن سليمان يملك منه الكثير:

- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٣٧﴾ [النمل: 35-37]

نتيجة مفتراة: لقد كان جل ما طلب سليمان أن يأتوه به من سبأ هو (نحن نظن) ما كان ينقص ملكه، إلا وهو العرش.

ولو تدبرنا النص أكثر لوجدنا أن سبأ لم تكن تقع داخل حدود مملكة سليمان عندما ورث سليمانُ والده داوود، وما وقعت تحت ملكه إلا بعد هذه الحادثة الشهيرة.

السؤال: لماذا كانت تلك البلاد (سبأ) خارج نفوذ حكم داوود (والد سليمان)؟ لِم لَم تكن جزءا من مملكة داوود؟

رأينا المفترى: وقعت المعركة الشهيرة بين طالوت وجالوت، وانتهت بانتصار طالوت على جالوت بسبب مقتل داوود لجالوت. وقد حصل ذلك على النحو التالي:

⇐ أُخرج بنو إسرائيل مع أبناءهم من ديارهم، فما كان منهم إلا أن طلبوا من نبي لهم من بعد موسى أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٤٦﴾ [البقرة: 246]

⇐ كان ذلك الملأ من بني إسرائيل يظن أن المَلك سيكون منهم، لكن المفاجأة جاءتهم صاعقة عندما علموا من نبيهم بأن الملك ليس منهم، وأن الله قد بعث لهم طالوت ملكا، فما كان منهم إلا أن أظهروا احتجاجهم على اختيار طالوت ملكا عليهم لأنهم كانوا يعتقدون أنهم أحق بالملك منه، ولكن التبرير الإلهي كان على نحو أن الله قد زاده بسطة في العلم والجسم:

- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾ [البقرة: 247]

⇐ تكون آية ملك طالوت عليهم هو ذاك التابوت الذي تحمله الملائكة وفيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون:

- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: 248]

⇐ يبتلى الله القوم بنهر بعد أن فصل بهم طالوت، فيتجاوز طالوت هذا النهر بقليل من الذين آمنوا معه، ولكن يبقى القلق مسيطرا عليهم لأنهم هم الفئة القليلة، بينما جالوت وجنوده هم الفئة الكثيرة، فيظن البعض منهم أنهم لا طاقة لهم بجالوت وجنوده، ولكن تبقى فئة قليلة جدا تظن بصدق الوعد الإلهي بنصره للفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة بإذنه، فكانوا من الصابرين:

- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: 249]

⇐ تقع المواجهة بين الطرفين، فتطلب هذه الفئة القليلة المؤمنة من ربهم أن يفرغ عليهم صبرا ويثبت أقدامهم وينصرهم على القوم الكافرين

- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: 250]

⇐ تهزم الفئة القليلة المؤمنة الفئة الكثيرة الكافرة بإذن الله، ويقتل داوودُ جالوت:

- ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: 251]

تساؤلات

⇐ كيف قتل داوودُ جالوت؟

⇐ لماذا لم يقتل طالوتُ جالوت؟

⇐ إلى أين هرب من تبقى من جنود جالوت بعد هزيمتهم؟

تحدثنا في مقالتنا السابقة تحت عنوان ما دلهم على موته إلا دابة الأرض عن هذه القضية، وافترينا الظن من عند أنفسنا بأن داوود استطاع أن يقتل جالوت بما وجده في التابوت الذي كان يحتوي على بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وظننا أنها بقية تلك العصا التي كانت بيد موسى، والتي قبض منها السامري قبضة، فأصبحت بعد ذلك منسأة بعد أن كانت عصا. وكان ذلك بداية الحكم والعلم الذي آتاه الله داوود في تلك المرحلة من حياته.

- ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة: 251]

فلقد كان داوود خليفة لأن المُلك لم يصله من طالوت بالوراثة، وإنما انتقل إليها انتقالا:

- ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: 26]

نتيجة مفتراة: الحكم بالخلافة لا يأتي وراثة، فأبو بكر مثلا هو خليفة رسول الله، وعمر هو خليفة أبي بكر، وهكذا. ولكن يزيد ليس خليفة لمعاوية لأنه ولده، لذا فهو وارثه.

نتيجة مفتراة: استتب الملك لـ داوود كخليفة لطالوت الملك (وسنتحدث عن الآلية لاحقا في سلسلة مقالاتنا عن سليمان بحول الله وتوفيقه). وانتهى بالوراثة إلى سليمان من والده داوود:

- ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: 16]

ولم تكن سبأ تقع ضمن نطاق ذلك الملك بدليل أن الهدهد قد جاء سليمان بنبأ يقين من هناك كان غائبا عن سليمان:

- ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ٢٦﴾ [النمل: 22-26]

نتيجة مفتراة: لم يكن سليمان يعلم ما كان يدور في سبأ وليس أدل على ذلك من ردة فعله على ما جاء به الهدهد:

- ﴿۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾ [النمل: 27]

السؤال: لماذا لم يكن سليمان يعلم بما يدور في سبأ؟

جواب مفترى: لأنها لم تكن حتى الساعة تقع ضمن نطاق ملكه.

السؤال: لماذا لم تكن سبأ تقع ضمن نطاق ملك سليمان الذي ورثه عن والده داوود؟

جواب مفترى خطير جدا: لأنها كانت هي البلاد نفسها التي هرب إليها جنود جالوت بعد هزيمتهم في الأرض المقدسة.

تخيلات من عند أنفسنا: عندما وقعت المعركة الفاصلة في القدس بين طالوت ومن معه من الذين آمنوا (ومنهم داوود نفسه) من جهة وجالوت وجنوده من جهة أخرى، لم يتوقع الكثيرون انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة. ولكن لما كان النصر بإذن الله كانت الغلبة للفئة القليلة المؤمنة بنصر ربها. ولما حصل أن قتل داوود جالوت، أصبح جنود طالوت بلا قائد يوجّههم، فكانت الهزيمة الساحقة لهؤلاء الجند، والنصر المؤزر لطالوت والذين آمنوا معه. عندها (نحن لازلنا نتخيل) هرب جنود طالوت في كل اتجاه، واستقر قسم كبير منهم في سبأ وذلك لأنها كانت تقع خارج سيطرة مُلك الغالب وهو طالوت حينئذ. فمنطق القول أن المغلوب في المعركة يفر إلى خارج حدود مُلك الغالب، فمن غير المنطقي أن ينهزم جنود جالوت في داخل مملكة طالوت لأن ذلك يعني نهايتهم وإلى الأبد. لذا نحن نتخيل أن المهزوم قد هرب خارج حدود مُلك الغالب. ومن هنا جاء افتراؤنا بأنهم قد هربوا إلى سبأ. فلماذا؟

هزم و غلب

ما الفرق بين أن تهزم أو أن تغلب؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الغلبة (**غلب**) تعني انتصار طرف على طرف، ولكن هذا الانتصار لا يؤدي إلى نهاية الطرف المهزوم، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى:

- ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: 2-4]

فبالرغم من أن الروم قد غلبت لكن ذلك لم يؤد إلى نهاية دولتهم (أو كيانهم) بدليل أنهم سيعاودن الكرة بعد بضع سنين وستكون لهم الغلبة، لذا ستبقى الحرب بين الطرفين سجال، يتغلب طرف على طرف، ولكن لا يستطيع طرف إنهاء الطرف الآخر كليا.

أما عندما تحدث الهزيمة (**هزم**)، فإن الصورة تكون أكثر مأساوية للطرف المهزوم لأنه عندها سيولي الدبر:

- ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: 45]

ولو حاولنا إسقاط ذلك على ما حصل في المعركة الفاصلة بين طالوت وجالوت، لوجدنا أن طالوت ومن معه من المؤمنين قد هزموا جالوت وجنوده أجمعين (فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ)،

فما كان من المهزومين (وهم جنود جالوت) إلا أن ولوا الدبر، فكانت تلك المعركة بمثابة بداية النهاية لجميع جنود جالوت. فهم قد هربوا وتفرقوا في الأرض فما عاد لهم ملكا واضحا. بل كانوا يحاولون التخفي عن الأنظار.

عندما وصل جنود جالوت المهزومين إلى سبأ، حاولوا قدر الإمكان أن يبقوا بعيدين عن متناول قبضة حكم طالوت، وداوود من بعده، ونجحوا في ذلك حتى كان ذلك اليوم الذي جاء الهدهد سليمان بنبئهم من سبأ:

- ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النمل: 22-23]

ملحوظة مهمة: لو حاولنا تدبر هذا السياق القرآني جيدا لوجدنا أن تلك المرأة في سبأ لم تكن ملكة، وإنما كانت تملك قومها. ونحن نظن أن هناك فرق كبير بين من كان له ملك ومن كان يملك. فما الفرق؟

رأينا: نحن نظن أن من كان له ملك فهو يملك ملكية عامة، فالملك له سلطة على شعبه لكن هذه السلطة هي سلطة ذات طابع عام، فبالرغم أنه ملك، لكنه لا يستطيع أن يدخل بيتك الخاص دون إذنك المسبق. فملكه لا يعطيه الصلاحية بالتدخل بخصوصية حياة شعبه، ولكن عليه أن يحترمها. وعلى الشعب إطاعة أوامره بصفته ملكا.

أما من يملك الشيء، فهو من تكون له الأحقية بالتصرف فيه، لأنه هو صاحبه، فأنت تملك بيتك فلك الحق أن تفعل به ما تشاء، وهكذا. لذا تصبح الملكية هنا خاصة وليست عامة كما في حالة من كان ملكا.

نتيجة مفتراة 1: الملك هو ملكية عامة

نتيجة مفتراة 2: التملك هو ملكية خاصة

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: لما كانت تلك المرأة ليست بالملكة ولكنها كانت تملك قومها، فقد كان لها (نحن نظن) حق التصرف فيهم، لذا كانوا على الدوام طوع أمرها، وهو ما أثبتوه بأنفسهم بأن لها الحق فيه:

- ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝٣٣﴾ [النمل: 33]

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن القوم في تلك المنطقة لم يعمدوا إلى تأسيس مُلك، ولم يبنوا دولة مستقلة ذات طابع عام، وإنما كانت ملكية خاصية بغية الابتعاد عن متناول يد طالوت وداوود من بعده. وليس أدل على ذلك مما قالته المرأة لقومها عندما حاولوا أن يستعرضوا قوتهم:

- ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾ [النمل: 33-34]

نتيجة مفتراة: لم تكن تلك المرأة من بين ملوك جنوب مصر الرسميين، فمن هي؟ من يدري؟!!!

لما كانت تلك المرأة تعلم يقينا مقدار بطش الملوك (طالوت، داوود، سليمان)، حاولت أن لا تتجاوز حدود قدراتها، فما كان منها إلا أن أبدت كل سبل السلام، فأرسلت بهدية لتنظر بماذا يرجع المرسلون:

- ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ [النمل: 35]

ولما وجدت أن هذا لن يثني سليمان (الملك) عن إخضاعهم كرها:

- ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل: 36-37]

ما كان منها إلا أن لبت النداء، فجاءت سليمان مع قومها طواعية، فوجدت أن عرشها قد سبقها إلى هناك:

- ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل: 38-40]

فكان الحوار الأول معها هناك يدور حول العرش:

- ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾ [النمل: 41-43]

ليكون السؤال الآن هو: من أين جاءها العرش؟ لم كان لتلك المرأة في سبأ عرش عظيم؟

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 23]

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن للآيات الكريمة التالية (كما نفهمها) علاقة بموضوع عرش هذه المرأة في سبأ:

- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: 101-102]

السؤال: ما علاقة ذلك بالموضوع؟

بداية لابد أن نتدبر هذه الآيات الكريمة جيدا، لنجد الأمور التالية:

- **أولا**، تتحدث الآيات عن الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم من أهل الكتاب: (... نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

ثانيا، حصل ذلك بعد أن جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم (وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

ثالثا، بعد أن نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كان البديل عندهم إتباع ما تتلو الشياطين على ملك سليمان (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ)

رابعا، جاء التبيان الإلهي بأن سليمان لم يكفر ولكن الشياطين هم الذين كفروا (وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ)

خامسا، كانت مهمة الشياطين هي تعليم الناس شيئين اثنين: السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت (يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ)

- **سادسا**، كان تحذيرهم واضحا لكل من تعلم على أيديهم بأنهم ليسوا أكثر من فتنة (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)

تساؤلات

- ⇐ من هم الشياطين؟
- ⇐ ومن هم هاروت وماروت؟
- ⇐ وما علاقة ذاك كله بسليمان؟

باب الشياطين

بداية لابد من التأكيد على أن مفردة الشياطين لا تقتصر على الجن، لأن هناك شياطين من الإنس كما أن هناك شياطين من الجن:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 112]

لتكون النتيجة المهمة جدا التي نسعى إليها هنا هي: أن شياطين الإنس والجن هم أعداء الأنبياء، فلقد كان لكل نبي أعداء، فكانوا من الإنس والجن، فكان هؤلاء هم الشياطين. وكانت مهمتهم الأساسية هي أن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. فكانت صنعتهم هي ما تلخصه الآيات الكريمة التالية:

- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: 221-223]

وسنرى لاحقا بحول الله وتوفيقه أن ذلك كله من باب صنعة القول:

- ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات: 8-9]

فالفرق واضح – لا محالة- بين القول الحق الذي جاء من عند ربنا والقول المختلف الذي يؤفك عنه من أفك، وهم الذين نظن أن الشياطين تتنزل عليهم (وسنتحدث عن هذا بتفصيل أكثر لاحقا، فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن ينفذ أمره بمشيئته وإرادته لي بعلم لا ينبغي لغيري – آمين).

باب هاروت وماروت

نحن نفتري القول بأن هاروت وماروت كانا ملكين ببابل (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ)، كما نؤمن أن ما جاء هذين الملكين قد جاءهم بطريقة الإنزال، فكيف تم ذلك؟ ومن أين أنزل عليهم؟

رأينا المفترى: نحن نظن أنه ما أن ينزل شيء حتى يكون مصدره السماء، فالإنزال يأتي مباشرة من السماء:

- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ: 2]

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: 4]

نتيجة مفتراة 1: كان الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت قد نزل من السماء

نتيجة مفتراة 2: مادام أن ذلك قد نزل من السماء، فهو إذن قد نزل بعلم الله (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا). والله يشهد على كل ما ينزل من السماء:

- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: 166]

نتيجة مفتراة 3: مادام أنه قد نزل من السماء وبعلم الله، فهو إذن علم حقيقي، لذا فهو لن يكون قولا مختلف، وما دام أنه كذلك فلن يجدوا فيه اختلافا كثيرا:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82]

تخيلات من عند أنفسنا: ينزل شيء من السماء على الملكين ببابل هاروت وماروت، ولمّا كان هذا الذي أنزل من السماء بعلم الله، كان قولا حقا. لكن ما أن نزل هذا القول الحق من السماء على الملكين حتى كانت الشياطين (أعداء الأنبياء) التي تقعد مقاعد للسمع (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ) جاهزة لتلقفه، وعندما سمعوا القول الحق، تنزلت تلك الشياطين به على كل أفاك أثيم:

- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: 221-223]

فعمدوا إلى تحريف القول، فأصبحوا في قول مختلف يتصف بالكذب، بعد أن كان قولا حقا:

- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: 5-9]

وسنتعرض (إن أذن الله لنا الإحاطة بشيء من علمه) إلى هذه الجزئية لاحقا بشيء من التفصيل عندما نتحدث عن الآية الكريمة التالية:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82]

ليكون محور النقاش حينها هو سؤال واحد: كيف يمكن أن يوجد اختلاف (حتى وإن كان قليلا) في القرآن؟

فالله أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن يهديني رشدي فلا أفتري عليه الكذب، إنه هو السميع العليم - آمين.

افتراء خطير جدا: نحن نفتري القول أن ذاك العلم الحقيقي الذي نزل من السماء بعلم الله على الملكين ببابل هاروت وماروت هو علم "العرش" (أو لنقل علم صناعة العروش) فمن كان يملك ذلك العلم كان قادرا أن يعرش، وهو لا شك من باب القول الحق. فالله هو رب العرش العظيم:

- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: 129]

وكان لهذه المرأة في سبأ عرش عظيم:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣﴾ [النمل: 23]

ولو دققنا في السياق الخاص بهذه المرأة لوجدنا الترابط بين عرشها من جهة وعرش الله نفسه كما جاء على لسان الهدهد:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ [النمل: 23-26]

ونحن نفتري القول بأن من يملك علم العرش فهو قادر على علم ما نخفي ما نعلن، وذلك لأن العرش هو أداة المراقبة التي تستطيع من خلالها مراقبة كل ما هو معروش عليه (أي دونه). للتفصيل انظر مقالتنا ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب العرش.

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن بأن علم العرش (أو صناعة العروش) قد نزل من السماء على الملكين ببابل هاروت وماروت، ومنذ تلك اللحظة أصبح متاحا لمن يمتلك هذا العلم أن يقوم ببناء عرش عظيم كما فعلت تلك المرأة، فأصبحت قادرة من خلال هذا العرش أن تملك قومها، فكانت ملكيتها لهم ملكية خاصة وليست ملكية عامة، فهي لم تكن ملكة على قومها ولكنها كانت تملك قومها (إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)، وكانت وسيلتها في إحكام سيطرتها عليهم هو ذلك العرش العظيم الذي كان متواجدا في مكان خاص لها (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)، ربما لا يستطيع الآخرون الوصول إليه.

الدليل

لما جاء الهدهد سليمان بذاك النبأ من سبأ صاغه على نحو من الدقة التي تصور لنا مكان عرشها، فالهدهد قد وجد المرأة مع عرشها في مكان ما:

- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 23]

ثم وجد المرأة نفسها مع قومها يسجدون للشمس في مكان آخر:

- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ [النمل: 24]

فمجيء الفعل "وجد" في النص مرتين ربما يدل (نحن نظن) على أن الهدهد قد شاهد المرأة مع عرشها في مكان ما، فكان ذلك أول ما وجده من أمر تلك المرأة، لكن الهدهد انتظر بعض الوقت ليجد المرأة نفسها مرة أخرى في مكان آخر مع قومها يقومون بطقوس العبادة للشمس.

وعندما أمر سليمان الهدهد بالذهاب إليهم بكتابه، كان خطاب سليمان واضحا بالذهاب إليهم وإلقاء الكتاب عليهم في معبدهم الجماعي:

- ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [النمل: 28]

لكن كانت المفارقة أن الهدهد قد ألقى الكتاب إلى المرأة وحدها في معبدها:

- ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩﴾ [النمل: 29]

و لربما يدلنا هذا أن الهدهد (كطائر) قد قام بفعل الإلقاء من فوق (أي من جو السماء) إلى الأرض، لتتضح لنا أن صورة المعبدين مفتوحة من الأعلى بحيث يستطيع طائر كالهدهد أن يرى ما كان يجري فيهما، كما يستطيع أن يلقي فيهما شيئا ما (ككتاب سليمان مثلا) من الأعلى.

السؤال: أين نبحث عن ذلك في سبأ؟

افتراء خطير جدا جدا: نحن نظن أن ذلك موجود في سبأ في المنطقة التي يتواجد بها معبدان متجاوران، أحدهما أكبر من الآخر، يكون واحد منهما خاصا والآخر عاما، يحتوي المعبد الأول على أشياء خاصة بالنساء، بينما يحتوي المعبد الثاني على أشياء خاصة بالعبادة الجماعية وخاصة السجود للشمس؟

السؤال: أين يمكن أن نجد هذين المعبدين؟

رأينا: أظن أن صاحبنا عالم الآثار المصري عصام درويش من مصر يمكن له (بما لديه من خبرة) في أرض سبأ أن يأتينا بنبأ يقين من هناك. فالله أسأل أن يعلمني وإياه ما لا ينبغي لأحد غيرنا إنه هو السميع المجيب – آمين.

السؤال: أين يمكن لصاحبنا عصام درويش أن يبحث عن المعبدين؟

جواب مفترى: نحن نظن أن بإمكانه أن يجدهما في سبأ في المنطقة التي حصل فيها سيل العرم:

- ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: 16]

السؤال: وأين يمكن أن يكون سيل العرم قد حصل؟

رأينا: لابد أنه قريب من منطقة الوادي:

- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: 17]

نتيجة مفتراة: السيل هو (في ظننا) جريان الماء في الوادي

فالماء يسيل في الوادي، لذا لابد أن يكون هناك مجرى ماء عظيم (كالنيل مثلا)، ولابد أن ذلك النهر يتفرع ليشكل جنتين عن اليمين والشمال، لأن الجنتين هما ما يجري خلالهما أو من تحتهما الماء:

- ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: 32-33]

فكان النهر هو الحد الفاصل بين الجنة التي عن الشمال من جهة والجنة التي عن اليمين (الجنوب) من جهة أخرى. ولابد أن المنطقة قريبة من الوادي حتى إذا سال ذلك الوادي فوق قدره، غُمرت المنطقة بأكملها بالماء، فأتت على الجنتين، فغطتهما بالماء حتى أصبح محصولها خمطا:

- ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: 16]

والله أعلم

فالله وحده نسأل أن يهدينا رشدنا وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعل فضله وحده علينا عظيما. وأعوذ به أن نفتري عليه الكذب أو أن نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو السميع العليم - آمين.

المدّكرون: رشيد الجراح & عصام درويش & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح
7 أيلول 2014



قصة يأجوج ومأجوج

الجزء السابع



قصة يأجوج ومأجوج – الجزء السابع

ما أن بعثنا بالجزء السابق من مقالتنا هذه إلى الأخ عصام درويش ليساعدنا (بما لديه من خبرة في آثار مصر العظيمة) في البحث عن المعبدين الخاصين بتلك المرأة التي كانت تملك قومها في سبأ حتى وصلتنا الرسالة التالية منه مرفق معها الرسومات التوضيحية الخاصة بما يظن أنه المكان الذي كانت تتواجد به هذه المرأة مع قومها في سبأ:

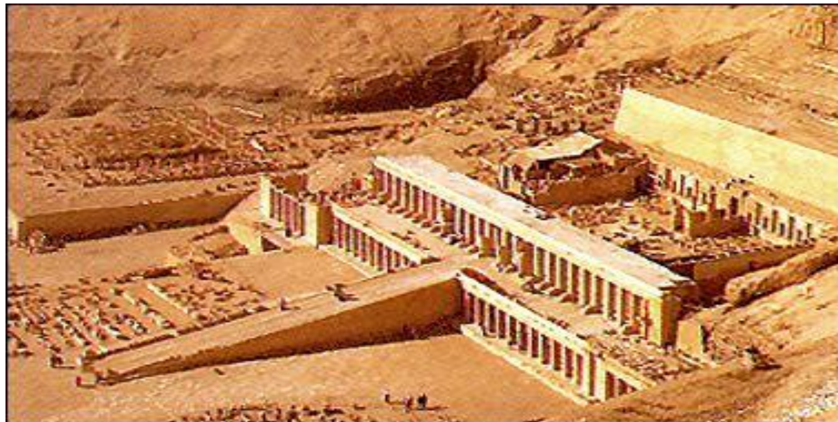
...كنت اعد رسالتي اليكم عن تفاصيل الصروح...ولكن الان اري ان اشكركم جدا علي مقالة رائعة رائعة. فانني اؤمن جدا ان الملكة حتشبسوت هي ملكة سبأ ...والتي حكمت جنوب مصر حتي السودان..وقد سجلت علي جدران معبدها بالاقصر تفاصيل زيارتها لسليمان مما تطابق تماما مع وصف الرحلة في سفر الملوك واسس القصة في القران.

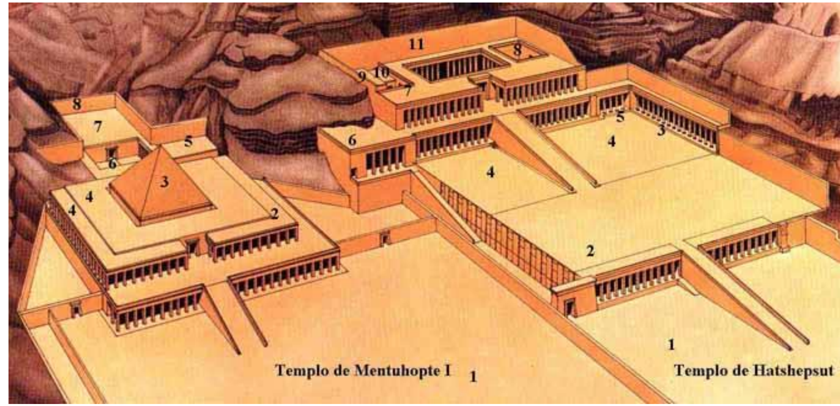
وكم احترت ولمرات عديدة كلما شاهدت معبديها بالبر الغربي..معبد كبير وملحق به اخر صغير مشابه تماما اطلقوا عليه خطأ معبد منتوحتب الا انني اراه ملحق من نفس الزمن وبيد نفس الفنان...وبعدما اكملت مقالتكم الجديدة ذهبت شاردا بفكري في السبب في العثور علي عديد من مومياوات نسائية في المعبد الصغير الملحق؟؟!!! وتشتهر الاقصر واسوان بالسيول الجارفة.

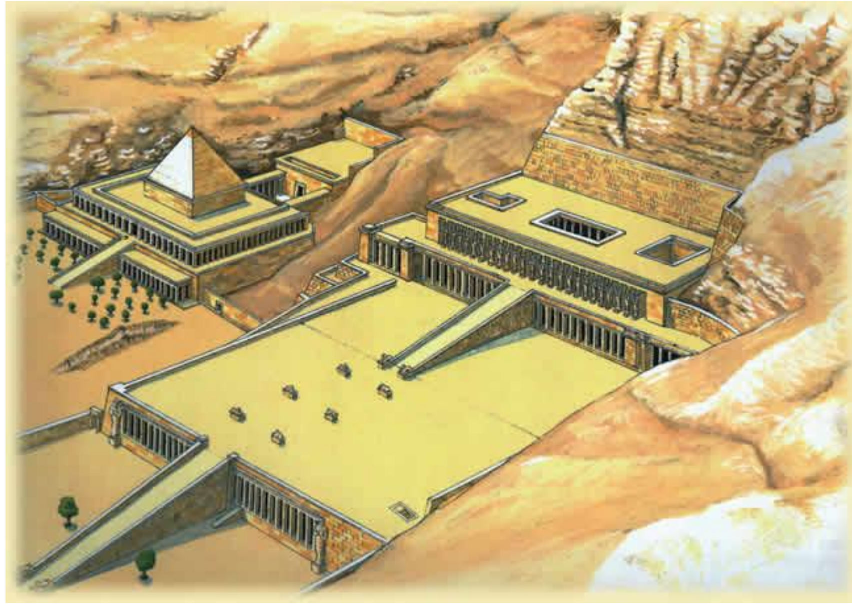
والتاريخ الفرعوني يؤيد نظريتكم في هروب العماليق الهكسوس بعد معركة داود الي اطراف مصرالجنوبية...وهذا ما ساتعرض له ان شاءالله في رسالة قادمة...الصور المرفقة لمعبدي ملكة سباء...او من ملكتهم ولم يكتبوا اسمها في قوائم الملوك الشرعيين ابدا....دمتم استاذي في صحةوسعادة.

(انتهت الرسالة)

الرسومات









كانت افتراءات السيد عصام تؤكد ما ذهبنا إليه في مقالتنا وهي على النحو التالي كما خطها السيد عصام درويش بيده:

1. اؤمن جدا ان الملكة حتشبسوت هي ملكة سبأ ...والتي حكمت جنوب مصر حتي السودان..وقد سجلت علي جدران معبدها بالاقصر تفاصيل زيارتها لسليمان
2. وكم احترت ولمرات عديدة كلما شاهدت معبديها بالبر الغربي..معبد كبير وملحق به اخر صغير مشابه تماما اطلقوا عليه خطاءا معبد منتوحتب الا انني اراه ملحق من نفس الزمن وبيد نفس الفنان.
3. وبعدما اكملت مقالتكم الجديدة ذهبت شاردا بفكري في السبب في العثور علي عديد من مومياوات نسائية في المعبد الصغير الملحق؟؟!!!
4. وتشتهر الاقصر واسوان بالسيول الجارفة.
5. والتاريخ الفرعوني يؤيد نظريتكم في هروب العماليق الهكسوس بعد معركة داود الى اطراف مصر الجنوبية
6. الصور المرفقة لمعبدي ملكة سباء...او من ملكتهم ولم يكتبوا اسمها في قوائم الملوك الشرعيين ابدا

وفي اليوم التالي وصلتني من السيد عصام الرسالة الالكترونية الأخرى التالية:

كانت الصروح التي دخلناها في بعض المعابد تقع احيانا في مداخل صالات الاعمدة المفتوحة التي لاسقف لها واحيانا في مداخل الصالات المسقوفة سواء اسقف خشبية او حجرية وفي كل نوافذ سقفية مرصوصة بنسق معين .

وللصروح شكل شبه هرمي عريض من اسفل ويضيق عند القمة عادة ما يكون من جزئين يفصلهما فراغ يسمح بمرور اشعة الشمس بشكل متسق مع حركة دوران الشمس ويتجلي ذلك جيدا في صروح الكرنك العشرة بمدينة الاقصر وكانوا علي اعلي ربوة بالمدينة وقت بنائهم ولكن ترسب طمي الفيضانات قبل بناء السدود جعل علي مر السنين مستوي المدينة اعلي بكثير من مستوي الصروح العشرة .

وللصروح مداخل تصل الي اعلي مستوي او ارتفاع من خلال سلالم غالبا سهلة وذات دورات ومنحنيات سهلة يتخللها احيانا غرف مربعة بها نوافذ اعتقد ان لها علاقة ما بحركة الشمس ويؤيد ذلك الرموز الشمسية الموجودة حول هذه النوافذ من الداخل.

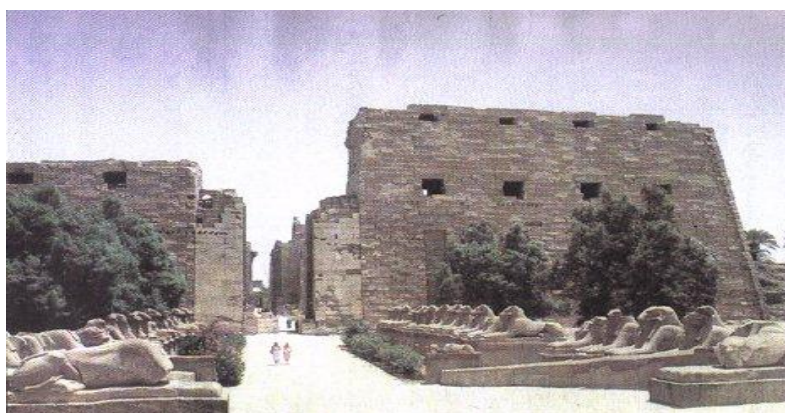
لا توجد لدينا دلائل قوية علي وظيفة ودور الصروح في تكوين المعبد. خاصة الموجود منها في مداخل الافنية المفتوحة ومداخل المعابد . ولكن الصروح التي تمثل جدران صالات الاعمدة فهي غالبا ماترتبط بالمنظومة الشمسية للنوافذ العلوية للسقف.

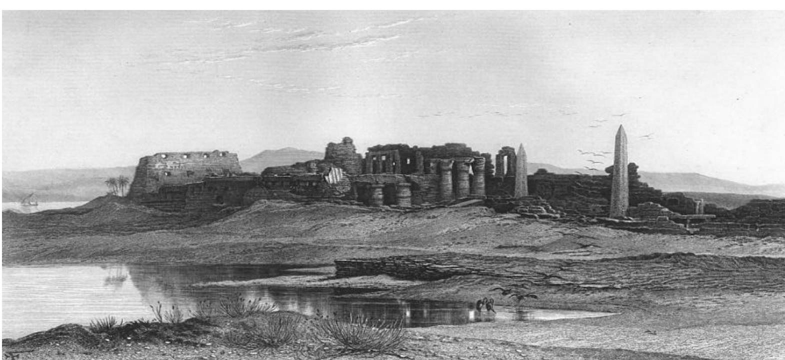
وللحديث بقية ان شاء الله تعالي

كم أرفق السيد عصام درويش مع رسالته هذه الصور التوضيحية التالية:









وبناء عليه، نجد الحاجة أن نركز على ما جاءنا من عند السيد عصام على شكل ملاحظات، هي التالية:

1. كانت الصروح التي دخلناها في بعض المعابد تقع احيانا في مداخل صالات الاعمدة المفتوحة التي لاسقف لها واحيانا في مداخل الصالات المسقوفة سواء اسقف خشبية او حجرية وفي كل نوافذ سقفية مرصوصة بنسق معين .
2. وللصروح شكل شبه هرمي عريض من اسفل ويضيق عند القمة عادة ما يكون من جزئين يفصلهما فراغ يسمح بمرور اشعة الشمس بشكل متسق مع حركة دوران الشمس ويتجلي ذلك جيدا في صروح الكرنك العشرة بمدينة الاقصر
3. وكانوا علي اعلي ربوة بالمدينة وقت بنائهم ولكن ترسب طمي الفيضانات قبل بناء السدود جعل علي مر السنين مستوي المدينة اعلي بكثير من مستوي الصروح العشرة .
4. وللصروح مداخل تصل الي اعلي مستوي او ارتفاع من خلال سلالم غالبا سهلة وذات دورات ومنحنيات سهلة يتخللها احيانا غرف مربعة بها نوافذ اعتقد ان لها علاقة ما بحركة الشمس ويؤيد ذلك الرموز الشمسية الموجودة حول هذه النوافذ من الداخل.
5. لا توجد لدينا دلائل قوية علي وظيفة ودور الصروح في تكوين المعبد. خاصة الموجود منها في مداخل الافنية المفتوحة ومداخل المعابد . ولكن الصروح التي تمثل جدران صالات الاعمدة فهي غالبا ماترتبط بالمنظومة الشمسية للنوافذ العلوية للسقف.

وقد لخّص السيد عصام درويش ما افتريناه في المقالات السابقة حول تلك المنطقة التي ظننا أنا هي سبأ بمفرداته الأثرية في رسالة ثالثة على النحو التالي:

⇐ المنطقة الواقعة جنوب مصر عند ٦٥٠ كم جنوب الأهرام حتى حوالي ٩٠٠ كم تسمي طيبة.

⇐ الترجمة الإنجليزية لسبأ التي هي شيبا، والتي تحولت (في ظننا) إلي طيبا (أو طيبة) إلى العربية على مر الزمن، فكان تحريفا لفظيا كما حصل في حالة يوسف (جوسر أو جوزيف)، للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان قصة يوسف.

⇐ لا زال الوادي هناك يحمل نفس الاسم حتى الآن وهو يشمل كل المنطقة المحيطة بمعابد حتشبسوت، حيث وجدت فيه مقابر معظم ملوك وملكات ووزراء مصر من ١٥٠٠ق.م حتى ٩٠٠ ق.م تقريبا. ولا زالت الاكتشافات الأثرية جارية لتنبئ بما هو مدفون هناك من كنوز المنطقة الأثرية التي لا شك ستضيف للمادة العلمية

⇐ حتى عام ٢٠٠٠ تقريبا كانت الجهة الغربية والشرقية من الوادي صحراء جرداء. وكان ما يلفت الانتباه أن النيل لم يغير لون الصحراء في تلك المنطقة، لكن كانت المفاجأة كبيرة جدا عندما وجدنا بعد سنوات قليلة أن تلك الصحراء الجرداء قد عادت لطبيعتها وأصبحت بقليل من الماء خضراء يانعة، وكأنها عادت لطبيعتها جنتان عن يمين وشمال النيل.

قال تعالى:

- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: 15-19]

هذا والله أعلم.

لذا، نحن نترك الأمر لعلماء الآثار في إعادة النبش في تلك المنطقة وفي جعبتهم هذا الفهم المفترى من عند أنفسنا للمنطقة التي نظن أن ذكرها قد جاء في القرآن الكريم تحت مسمى سبأ، الأمر الذي ربما نخالف فيه كل ما ذهب إليه أهل الدراية من قبلنا.

كما نترك الأمر أيضا لعلماء الدين، لإعادة النبش في موروثاتهم العقائدية عن قصة سبأ في كتاب الله. وفي الوقت ذاته نود أن نؤكد أن هذا لا يُخرِج كلامنا كله عن نطاق أن يكون افتراء من عند أنفسنا، قد يصح وقد لا يصح. لذا نحن نبرأ إلى الله من كل من يتهمنا بالقول بأن فهمنا هذا هو ما هو موجود فعلا في كتاب الله. فكتاب الله هو القول الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما قولنا فلا يتجاوز أن يكون نتاج فكر بشري قد يصيب وقد يخطئ، فإن أصبنا فذلك من فضل الله علينا وعلى الناس (وقليل من عباد الله الشكور)، وإن أخطأنا فذاك من أنفسنا (فإن أكثر الناس لا يعلمون). والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

ونعود من هناك (أي من سبأ) على الفور - بعد هذا الاستطراد الطويل- إلى قصة يأجوج ومأجوج مرة أخرى لننتقل بحول الله وتوفيقه إلى رحلاته الأخرى التي أتبع في سببا. فقد تحدثنا في الأجزاء السابقة عن رحلته إلى بين السدين (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) كما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: 92-97]

فكانت هذه رحلته الثالثة والأخيرة التي اتبع فيها سببا. وتحدثنا عن قصة القوم الذين وجدهم دون السدين (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا) والذين كانوا لا يكادون يفقهون قولا (لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا)، وظننا أنهم قوم من الجن. وكان الدليل الذي ظننا أنه يدعم نظريتنا هذه هو أن الإنس والجن يتطابقون في الفقه (يَفْقَهُونَ) كما نفهم ذلك من قوله تعالى في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: 179]

نتيجة مفتراة: القلب هو أداة التفقه عند الجن والإنس، وإنْ كان كثير منهم لا يستغلون هذه النعمة الربانية

(دعاء: اللهم رب أعوذ بك من أن تطبع على قلبي، وأعوذ بك أن يكون قلبي قد أقفل. وأسألك أن أكون من الذين لهم قلوب يفقهون بها وأعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها - آمين)

ولكن ربما يكمن الفرق بين الإنس والجن في "التفقه"– في ظننا- على النحو التالي: في حين أننا نحن الإنس نفقه القول، فإننا قد لا نفقه الحديث:

- ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء: 78]

ولكن الجن هم الذين (نحن نفتري الظن) قد لا يفقهون القول. لذا علينا أن نميز بين فقه القول وفقه الحديث.

نتائج مفتراة من عند أنفسنا:
الإنس يفقه القول
الجن يفقه القول
الجن قد لا يفقه القول
الإنس قد لا يفقه الحديث

كما افترينا القول من عند أنفسنا بأن ذا القرنين نفسه كان هو أيضا من الجن، فهو من استطاع من الجن (نحن نظن) أن ينفذ من أقطار السموات:

- ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: 33]

وظننا أنه قد سُمي بذي القرنين لأنه عاصر قومين مختلفين (أي قرنين)، فكان هو (نحن نظن) الذي مهّد هذه الأرض لأن تكون صالحة للخلافة الإنسانية فيها بعد أن كانت يأجوج ومأجوج تعيث فيها فسادا.

وكان افتراؤنا الأكبر حينئذ هو أن يأجوج ومأجوج هم عالمي الديناصورات، الذين هم كائنات فضائية جاءت غازية الأرض، والذين ظننا أن انقراضهم عن وجه الأرض قد بدأ مع إحداث الردم الذي جعله ذو القرنين نفسه، والذي سدّ طريقهم للوصول إلى الأرض من الفضاء الخارجي، فما استطاعوا المكوث طويلا بعد ذلك لأن تأقلمهم أصبح متعذرا (للتفصيل انظر الأجزاء الأولى من قصة يأجوج ومأجوج). كما ظننا أن آخرهم كان واد النمل التي هي الفصيلة الأخيرة من الديناصورات التي استمر وجودها على الأرض فترة من الزمن، أي حتى زمن حكم سليمان (للتفصيل انظر مقالتنا ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته – باب النمل).

أما الآن، فسنحاول أن نتعرض للتساؤل التالي: هل كانت يأجوج ومأجوج هي المخلوقات غير الأرضية الوحيدة القادرة على غزو الأرض؟

جواب مفترى: كلا، فنحن نظن أن هناك قومان آخران متواجدين في مكان آخر في الكون قادرين على غزو الأرض. فمن هما؟

رأينا المفترى: إنهما من وجدهما ذو القرنين في رحلته الأولى (عند مغرب الشمس) ومن وجدهما في رحلته الثانية (دون مطلعها):

- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف: 85-91]

افتراء خطير جدا: نحن نظن أن هذا الكون المحيط بنا يسكنه ثلاثة غيرنا وهم:

1. القوم المتواجدون عند العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس
2. القوم الذين تطلع عليهم الشمس ولم يكن لهم من دونها سترا
3. يأجوج ومأجوج

ولما كنا قد تحدثنا عن يأجوج ومأجوج، وحاولنا تقديم افتراءات من عند أنفسنا عن خبرهم في الأجزاء السابقة من هذه المقالة، فإن الدور قد حان الآن لنبدأ النبش في ذكر القومين الآخرين وهما:

1. القوم المتواجدون عند العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس

- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 85-88]

2. القوم الذين تطلع عليهم الشمس فلم يكن لهم من دونها سترا

- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾ [الكهف: 89-91]

ليكون السؤال الرئيس هو: من هما هذا القومان؟

افتراء خطير جدا جدا: نحن نفتري الظن بأن هذين القومين هم من نسميهم في عالم المعرفة الحديثة بـ aliens أو الكائنات الفضائية، وهم الذين يعرّفهم أحد القواميس الأجنبية على أنهم (creatures from a different planet)، أي كائنات من كواكب أخرى.

الافتراء: نحن نتجرأ على افتراء الظن بأن هناك كائنات أخرى (وهي أقوام مثلنا) تعيش على كواكب أخرى يمكن لها أن تصل إلينا، ويمكن لنا أن نصل إليها (كما فعل ذو القرنين مثلا) وهما قومان فقط، يسكن أحدهما عند العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس، ويسكن الآخر دون مطلع الشمس، وهم الذين لم يجعل الله لهم من دونها سترا.

تساؤلات

⇐ أين تتواجد هذه الأقوام؟
⇐ ما هي طبيعتها؟
⇐ كيف وصل إليهم ذو القرنين؟
⇐ هل يمكن لهذه الأقوام أن تصل إلينا؟
⇐ هل يمكن لنا أن نصل إليها؟
⇐ ما مقدار الخطر الذي تشكله علينا؟
⇐ لماذا جاء ذكرها في كتاب الله؟
⇐ ما السبب أن يكون ذو القرنين هو فقط من وصل إليهم؟
⇐ الخ.

(دعاء: فالله أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن ينفذ مشيئته بإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه بإذنه، إنه هو الواسع العليم - آمين)

أما بعد،

لعل أهم الملاحظات التي استوقفتني في قصة ذي القرنين حول القومين اللذين وجدهما في رحلتيه الأولى (عند مغرب الشمس) والثانية (عند مطلع الشمس) هو ردة فعل من كان متواجدا مع ذي القرنين في

الرحلتين، فلننظر السياقيين القرآنيين من هذه الزاوية، ثم نحاول التعليق عليهما بعد ذلك بحول الله وتوفيقه

السياق الأول: رحلة ذي القرنين الأولى حتى بلوغه مغرب الشمس

- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 85-88]

السياق الثاني: رحلة ذي القرنين الثانية حتى بلوغه مطلع الشمس:

- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف: 89-91]

لاحظ - عزيزي القارئ – كيف كانت ردة الفعل في كل مرة: فعلى الرغم أن ذا القرنين قد وجد عند مغرب الشمس قوما كما وجد قوما آخرين دون مطلع الشمس، إلا أن ردة فعل من كان مع ذي القرنين كانت مختلفة في كل مرة. فكيف ذلك؟

جواب مفترى: عندما بلغ ذو القرنين مغرب الشمس، طُلِب منه أن يعذب أو أن يتخذ فيهم حسنا:

- ﴿... قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: 86]

وكانت ردة فعل ذي القرنين على النحو التالي:

- ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 87-88]

نتيجة مفتراة 1: نحن نظن إذن بأن ذي القرنين قد قام فعلا بتعذيب من كان من أولئك القوم ظالما (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ)، مقرا في الوقت ذاته بأن هؤلاء الظالمين سيردون إلى ربهم ليعذبهم عذابا أشد وأقسى، أي عذابا نكرا (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا).

نتيجة مفتراة 2: كانت ردة فعل ذي القرنين على من كان من هؤلاء القوم مؤمنا هي أن يقول له من أمره يسرا (وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا)، مشيرا من قبل ذلك أن لهم أجرا حسنا عند ربهم (وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ).

من هذا الفهم المفترى يمكن أن نقدم الاستنباطات المفتراة التالية:

⇐ اتبع ذو القرنين سببا (فَأَتۡبَعَ سَبَبًا)
⇐ بلغ مغرب الشمس فوجدها تغرب في عين حمئة (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ)
⇐ كان من وجدهم ذو القرنين عن مغرب الشمس قوما (وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ)
⇐ طُلِب من ذي القرنين إنا أن يعذب أو أن يتخذ فيهم حسنا (قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا)
⇐ كان من بين هؤلاء القوم من هو ظالم ومن هو مؤمن ويعمل صالحا
⇐ استحق من كان ظالما عذابا أدنى من ذي القرنين نفسه كما سيرد إلى ربه ليعذبه عذابا نكرا (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا)
⇐ استحق من كان مؤمنا يعمل الصالحات قولا حسنا من ذي القرنين كما سيتلقى الجزاء الأحسن من ربه (وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا)
⇐ كان هؤلاء القوم في مرحلة العمل (الحياة الأدنى)، بدليل أنه كان مطلوب منهم أن يؤمنوا وأن يعملوا صالحا
⇐ كان هؤلاء القوم يعتقدون أنهم سيردون إلى ربهم للجزاء، فمنهم سيعذب عذابا نكرا ومنهم سيجزى الجزاء الأحسن

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: نحن نفتري الظن إذن بأن من وجدهم ذو القرنين عند مغرب الشمس هم قوم لازالوا مكلّفين بالعبادة وبالعمل الصالح، وسيردون إلى ربهم ليحاسبهم على إيمانهم وعملهم، فمن كان منهم ظالما فسيلاقي عذاب نكرا، ومن كان مؤمن يعمل صالحا فسيلاقي جزاء الحسنى. وانظر – إن شئت- في السياق القرآني مرة أخرى:

- ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾ [الكهف: 85-88]

والآن لننتقل لنرى ما الذي حصل في رحلة ذي القرنين الثانية عند مطلع الشمس:

- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾ [الكهف: 89-91]

لو دققنا جيدا في هذا السياق القرآني لوجدنا على الفور عدم وجود تواصل بين ذي القرنين من جهة مع هؤلاء القوم من جهة أخرى، كما أننا لا نجد أنه قد طلب من ذي القرنين أن يفعل فيهم شيئا. فجل ما حصل هو إحاطة الخبر بهم (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا). لتثار التساؤلات التالية على الفور:

⇐ لماذا لم يُطْلَب من ذي القرنين أن يعذّب أو أن يتخذ في هؤلاء القوم حسنا كما طُلِب منه من ذي قبل في رحلته الأولى عندما بلغ مغرب الشمس؟
⇐ لماذا لم يحدث تواصل مع هؤلاء القوم؟
⇐ كيف وجدهم إذا ذو القرنين؟ هل كانوا جميعا ظالمين؟ هل كانوا جميعا مؤمنين؟ أم هل كان فيهم ظالم لنفسه ومؤمن يعمل صالحا؟
⇐ ولِم لم يعذب ذو القرنين من كان منهم ظالما ولم لم يقل من أمره يسرا لمن كان منهم مؤمنا يعمل صالحا كما فعل مع القوم الآخرين الذين وجدهم في رحلته الأولى عند مغرب الشمس؟
⇐ الخ

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أن ذا القرنين قد وجد هؤلاء قوما، لكنهم لم يكونوا (نحن نفتري القول) في الحياة الدنيا (الأولى) التي تتطلب الإيمان والعمل الصالح، ولكنهم كانوا قوما في حياتهم الأخرى يحاسبون على أعمالهم عند ربهم.

تلخيص ما سبق

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا 1: نحن نتخيل بأن ذا القرنين انطلق في رحلته الأولى في الفضاء الخارجي متبعا سببا إلى مغرب الشمس، وهناك وجد الشمس نفسها تغرب في عين حمئة، كما وجد عندها قوما. وكان هؤلاء القوم في مرحلة العمل، فكان منهم المؤمن وكان منهم من هو ظالم لنفسه، ولكنهم لم يكونوا قد عادوا بعد إلى ربهم ليعذب الظالم منهم عذابا نكرا وليجزي المؤمن منهم جزاء الحسنى:

- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٨﴾ [الكهف: 85-88]

ولما كان هؤلاء القوم لازالوا في حياتهم الأولى (الدنيا) وهي الحياة التي يطلب فيها من القوم الإيمان بربهم والعمل الصالح، طُلب من ذي القرنين أن يعاقب الظالم منهم وأن يحسن للمؤمن منهم، فكان له ذلك. فقام ذو القرنين بتعذيب من ظلم منهم (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ) بما يقدر عليه من العذاب، تاركا أمر عذابه الأخروي إلى ربه ليعذبه عذابا نكرا متى ما رد إليه (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا). وفي الوقت

ذاته كان جل ما يستطيع فعله ذو القرنين بمن آمن وعمل صالحا من هؤلاء القوم هو أن يقول له من أمره يسرا (وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا) مقرا بأن جزاءه الأوفى سيكون عند ربه عندما سيجزيه جزاء الحسنى (وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ).

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا 2: ونحن نتخيل بأن ذا القرنين انطلق بعد ذلك في رحلته الثانية في الفضاء الخارجي متبعا سببا إلى مطلع الشمس، وما أن وصل هناك حتى وجد قوما آخرين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا، لكن هؤلاء القوم لم يكونوا ظالمين ومؤمنين كما القوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس. لذا نحن نتجرأ على الظن بأنه لم يُطلب من ذي القرنين هذه المرة أن يعذب أو أن يتخذ فيهم حسنا. وجل ما حصل هو إحاطة الخبر:

- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ۝٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ۝٩١﴾ [الكهف: 89-91]

لذا، نحن نتجرأ على الظن مفترينه من عند أنفسنا بأن السبب في ذلك يعود أن هؤلاء القوم لم يكونوا في حياتهم الدنيا (الأولى) التي تتطلب الإيمان والعمل الصالح. ولكنهم قوم انتقلوا إلى الحياة الأخرى (أي حياة الجزاء). فكانوا يلاقون جزاءهم على ما قدّموا لحياتهم الأخرى هذه عندما كانوا في حياتهم الدنيا تلك.

السؤال: ماذا كان جزاؤهم؟

جواب مفترى: إنها النار.

الدليل

لو دققنا في النص لوجدنا أنه يتحدث عن القوم الذين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا، أليس كذلك؟

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ۝٩٠﴾ [الكهف: 90]

السؤال: كيف تتخيل – عزيزي القارئ- أولئك القوم الذين لا يكون لهم سترا من الشمس؟

رأينا: نحن نظن أن وجود الستر يكون الهدف منه الوقاية:

- ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فصلت: 22]

فالذي يستتر من شيء هو من يحاول أن لا يظهر ذلك الشيء عليه، فالذي يستتر من الناس لا يمكن أن يكونوا عليه شهداء لأنهم لن يظهروا على ما يفعل، ولكن عندما لا يستطيع الإنسان أن يستتر من أعضاءه (سمعه وبصره وجلده)، فهي – لا محالة- من سيشهد عليه عندما ينطقها الله الذي سينطق كل شيء:

- ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: 21]

نتيجة مفتراة: مادام أن هؤلاء القوم لم يكن لهم من دون الشمس سترا، فهي إذن تظهر عليهم، وما دام أن الشمس ظاهرة عليهم دون وجود وقاية منها (سترا)، فهم إذا (في ظننا) يُعذّبون بنارها. فهي – نحن نفتري القول- الجحيم الذي يلاقون فيه عذابا نكرا بعدما ردوا إلى ربهم:

- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق: 8]

لاحظ - عزيزي القارئ – كيف تصوّر هذه الآية الكريمة بصريح اللفظ أن العذاب النكرا يحصل بعد المحاسبة (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا).

ولو دققنا في النص التالي الذي جلبناه سابقا للحديث عن قصة ذي القرنين في رحلته الأولى لوجدنا أن العذاب النكرا سيكون بعد أن يرد من ظلم إلى ربه:

- ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: 87]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري القول بأن العذاب النكرا يحدث بعد المحاسبة (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا) عندما يرد من ظلم إلى ربه (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا).

نتيجة خطيرة جدا جدا: نحن نظن أن ذا القرنين قد وجد عند مطلع الشمس القوم الذين ردوا إلى ربهم، فكانوا يعذبون عذابا نكرا، وكانت الشمس هي الأداة التي تطلع عليهم بنارها الملتهبة، فلم يكن لهم من دونها سترا.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: كان ما وجده ذو القرنين في رحلته الأولى قوما لازالوا في حياتهم الدنيا (الأولى) يطالبون بالإيمان والعمل الصالح، فعذب منهم من كان ظالما لنفسه تاركا عذابه النكرا إلى ربه عندما يرد إليه. وكان ما وجده ذو القرنين في رحلته الثانية هم قوم ردوا إلى ربهم، فكانوا يتلقون دون مطلع الشمس عذابا نكرا، لأنه لم يكن لهم من دونها سترا. فكان جل ما تحصل لذي القرنين هناك هو الإحاطة بخبرهم فقط (كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا)

افتراءات من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن هناك في الفضاء الخارجي قومان، أحدهما لازال في حياته الأولى، مطلوب منه أن يؤمن بربه وأن يعمل صالحا، وهو متواجد عند مغرب الشمس، أما الآخر فهم قوم ردوا إلى ربهم، وهم الآن يتلقون عذابا نكرا جزاء بما صنعوا في حياتهم الأولى، وهؤلاء موجودون عند مطلع الشمس حيث لا يوجد لهم من دونها سترا.

السؤال: مَن مِن هذه الأقوام يستطيع الوصول إلينا؟

رأينا: إنهم القوم الذين لازالوا في "حياتهم الدنيا" (الأولى) يعملون، فهؤلاء هم المخلوقات الفضائية الوحيدة التي يمكن لها أن تصل إلينا أو أن نصل إليها. فلازال هناك متسعا من الوقت لديهم للعمل مادام أنهم لازالوا في حياتهم الأولى (الدنيا) ولم يردوا بعد إلى ربهم. أما القوم المتواجدون دون مطلع الشمس ولم يجعل لهم من دونها سترا، فهم قوم لا يستطيعون الوصول إلينا لأنهم أصبحوا في مرحلة الجزاء ولم يعد بإمكانهم العمل.

سؤال: إذا كان القوم الذين وجدهم ذو القرنين عند مغرب الشمس هم فقط من يستطيعون الوصول إلينا وقد نستطيع نحن الوصول إليهم، فمن سيكون المبادر في ذلك؟ هل سنصل نحن إليهم قبل أن يصلوا هم إلينا أم سيصلون هم إلينا قبل أن نصل نحن إليهم؟

رأينا المفترى: لعلي أكاد أجزم الظن أنهم سيصلون إلينا قبل أن نصل إليهم. ولكن لماذا؟

جواب مفترى: لأن ذا القرنين قد قال للمؤمنين منهم الذين لم يعذبهم من أمره يسر:

- ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 88]

فما معنى ذلك؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا الأمر في كتاب الله لوجدنا أنه تحقيق المراد:

- ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: 82]

فلقد كان عند ذي القرنين أمرا، وكان يستطيع تحقيق مراده بسهولة ويسر، وما أن عذّب الذين ظلموا من أولئك القوم حتى كانت الجائزة منه لمن آمن منهم على نحو أن يقول له من أمره يسرا، فقام ذو القرنين (نحن نتخيل) بنقل شيء من أمره (قولا) إلى بعض أولئك القوم، فأصبح بعض مما آتاه الله لذي القرنين متوافرا عندهم:

- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 84]

(دعاء: اللهم رب آتني من كل شيء سببا، وعلمني ما لم أكن أعلم، إنك أنت الواسع العليم)

السؤال: لماذا سمي إذن بذي القرنين؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن السبب ربما يعود إلى هذين القومين، فذو القرنين هو الذي وصل بين القوم الذين وجدهم عند مغرب الشمس فكانوا قرنا، والقوم الذي وجدهم دون مطلع الشمس فكانوا قرنا آخرين. وهما متواجدان على خط واحد في طرفين متناقضين (الغرب والشرق)، ,المسافة بينهما بعيدة، فكان الشكل التالي (برج الثور- Taurus) هو - في ظننا - ما قد يصور مكانيهما بالنسبة لنا:









Source

تساؤلات

- ⇐ لماذا نظن بأن القوم المتواجدين عند مغرب الشمس هم قوم لازالوا يعملون ولازالت تلك هي حياتهم الدنيا؟
- ⇐ لماذا نظن بأن القوم المتواجدين دون مطلع الشمس هم قوم قد ردوا إلى ربهم؟
- ⇐ الخ.

رأينا: لعل هذه التساؤلات تدعونا للبحث في قضية الاتجاهات كما نفهمها من كتاب الله.

الاتجاهات

بداية نحن نفهم أن كتاب الله يصور لنا الكون وبكأنه ينقسم فقط إلى اتجاهين اثنين: الشرق والغرب:

- ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [البقرة: 115]
- ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ [البقرة: 142]
- ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة: 177]

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258]
- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: 137]
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الحجر: 73]
- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: 28]
- ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشعراء: 60]
- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: 38]
- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: 17]
- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: 9]
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات: 5]
- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المعارج: 40]

ولكن بالنسبة للإنسان المتواجد في منطقة ما على سطح الأرض فإن الاتجاهات بالنسبة له تصبح أربعة:

- ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 17]

فكيف يمكن تحديد هذه الاتجاهات؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الإنسان ينظر بداية إلى الشمس، فتكون تلك الجهة الناظر إليها (أي ما بين يديه) هي الشرق، وتكون الجهة المعاكسة (أي خلفه) هي الغرب، فتصبح الاتجاهات على النحو التالي:

ما بين أيديهم :: الشرق
ما خلفهم :: الغرب

ويصبح اليمين (اليد اليمنى، الجهة اليمنى) هي باتجاه الجنوب، بينما تكون اليد اليسرى (أي الجهة الأخرى) باتجاه الشمال:

عن أيمانهم :: الجنوب
عن شمآئلهم :: الشمال

ولكن بالنسبة للإله نفسه لا تكون الاتجاهات إلا اثنتين فقط وهما الشرق (ما بين أيديهم) والغرب (ما خلفهم):

- ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: 109-110]
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: 28]
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج: 76]

السؤال: لماذا تكون الاتجاهات بالنسبة للإله هي فقط الشرق والغرب؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: لأن الإله نفسه متواجد في الشرق

الدليل

نحن نؤمن يقينا بأن الله سيجيء بنفسه، وسيكون الملك حينها صفا صفا، وسيكون ذلك من أجل الحساب:

- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: 22]

وسيحدث هذا بعد أن تكون الأرض قد دكت دكا. انظر السياق الأوسع:

- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: 21-22]

وسيصاحب ذلك مجيء جهنم. انظر السياق الأوسع:

- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: 21-23]

السؤال: من أين سيجيء الإله نفسه؟ من أي اتجاه سيظهر؟ ولماذا سيجيء بجهنم في ذلك اليوم؟ وماذا عن الجنة؟ ألن يجيء بها كذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الجنة ستكون على الأرض لذا لن يجيء بها ولكن جهنم (وأظنها الشمس نفسها) هي من سيجيء بها إلى هنا، لتكون مثوى الظالمين.

فكيف سيحصل ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الإله نفسه سيجيء من الشرق بدليل أن الأرض نفسها ستشرق بنور ربها بعد أن يكون الناس قيام ينظرون:

- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر: 68-70]

السؤال: كيف سنتخيل المشهد برمته؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن المشهد سكون على النحو التالي:

⇐ سينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله:

- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: 68]

⇐ سيأتي الإله في ظلل من الغمام:

- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة: 210]

⇐ ومادام أن الإله سيأتي، فإن ذلك سيستغرق بعض الوقت حتى يجيء. لأن الإتيان (نحن نظن) لا يحدث على عجل، وإنما على التراخي، فهذه مريم قد أتت قومها بمولودها، وذلك لأنها لم تكن متحمسة جدا أن تصل إليهم بسرعة:

- ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ [مريم: 27]

كما أن أحد الفروق الأخرى بين أن يأتي شي ما و أن يجيء ربما يكمن في الوصول، فإذا ما أتى شيء ما فليس بالضرورة أن يكون قد وصل إلى نهايته بعد:

- ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [النحل: 1]

فبالرغم أن أمر الله قد أتى إلا أنه لم يصلنا بعد بدليل أننا لا يجب أن نستعجله. ولكن – بالمقابل- عندما يجيء الشيء فإن ذلك يدل – لا شك- على الوصول:

- ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ [طه: 40]
- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ [هود: 82]
- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف: 50]
- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ [النمل: 8]

- ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ [القصص: 25]

⇐ في هذه الأثناء (أي إتيان ربك) سيبدأ الغمام الذي يحجز رؤية المخلوقات للذات الإلهية يزول شيئا فشيئا وهو ما نفهمه من معنى التجلي الإلهي.

⇐ ما أن يبدأ الإله بالتجلي بزوال الغمام التدريجي حتى تحصل (نتيجة زوال هذا الغمام) الصاعقة كما حصل في حالة بني إسرائيل:

- ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥﴾ [البقرة: 55]

وكما حصل في حالة ثمود:

- ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤﴾ [الذاريات: 43-44]

⇐ ما أن يزول أول ذاك الغمام حتى تدّك الأرض دكا دكا بالضبط كما حصل في حالة الجبل عندما تجلى الله له بطلب من موسى:

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: 143]

⇐ عندها يكون قد صعق من في السموات والأرض، فينفخ في الصور مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون:

- ﴿... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: 68]

⇐ تحدث المفاجأة للناس عندما يجدون أنفسهم ناظرين إلى مصدر النور وهو الشرق، فيوضع الكتاب ويجيء بالنبيين والشهداء ويقضى الأمر:

- ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزمر: 69]

⇐ عندها تكون الأصوات خاشعة لا تسمع إلا همسا:

- ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ [طه: 108]

⇐ ما أن يتم الحساب حتى يساق الذين كفروا إلى جهنم زمرا (وهم أصحاب الشمال) ويساق الذين آمنوا إلى الجنة زمرا (وهم أصحاب اليمين)

السؤال: ما علاقة هذا كله بقصة يأجوج ومأجوج؟ وكيف يمكن أن نربط افتراءاتنا هذه بقصة ذي القرنين كاملة؟

رأينا: دعنا نتدبر السياق القرآني التالي:

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: 96-97]

لاحظ - عزيزي القارئ- كيف تصور لنا هذه الآيات الكريمة بأن فتح يأجوج ومأجوج سيكون مصاحبا لاقتراب الوعد الحق، عندها تكون أبصار الذين كفروا شاخصة، يتحسرون على ظلمهم لأنفسهم، أليس كذلك؟

والآن لنرقب ما قاله ذو القرنين عندما جعل بين القوم الذين وجدهم دون السد من جهة ويأجوج ومأجوج من جهة أخرى ردما:

- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ * وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: 96-99]

ألا ترى – عزيزي القارئ- أن ذا القرنين يثبت بأن ذلك الردم <u>سيدّك</u> عندما يجيء الوعد الإلهي (فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ)؟ ألا ترى أنه يثبت بأن ذلك سيحصل عندما ينفخ في الصور ليجمعوا جمعا (وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا)؟

إن أكثر ما يهمنا الآن من هذا النقاش هو نهاية ذلك الردم التي ستكون على نحو أن يدّك. ليكون السؤال الذي نطرحه هو: لماذا ستكون نهاية ذلك الردم على تلك الشاكلة (الدّك)؟ وما الذي سيدك ذلك الردم فعلا؟

رأينا المفترى: لو تتبعنا مفردة "الدّك" في السياقات القرآنية لوجدناها مصاحبة على الدوام للتجلي الإلهي. فنحن نظن أن الدّك لا يحدث إلا عند التجلي الإلهي بزوال الغمام:

- ﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ [الفجر: 21-23]

بالضبط كما حصل في حالة الجبل الذي جعله الله دكا عندما تجلى بطلب من موسى:

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: 143]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نتجرأ على افتراء القول بأن الدّك لا يحصل إلا نتيجة التجلي الإلهي، وهذا التجلي الإلهي يحصل في ظننا عندما يبدأ الغمام الذي يحجز رؤية الغير للذات الإلهية بالزوال شيئا فشيئا، فما أن يأتي الله في ظلل من الغمام حتى تشقق السماء:

- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: 25]

وعندما تبدأ طبقاته الأولى (لاحظ أنه ظلل من الغمام) بالزوال تحدث الصاعقة التي تدّك كل ما تصيب، ويحصل الموت لكل ما هو حي. وما أن يزول الغمام كله حتى يكون الملك لله وحده، فلا يخفى على الله منهم شيء، لتجزي كل نفس بما كسبت:

- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: 15-17]

وهنا ينفخ في الصور مرة أخرى، فإذا هم قيام ينظرون:

- ﴿... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: 68]

ليجدوا المفاجأة الأكبر بأن الأرض قد أشرقت بنور ربها:

- وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ...
- ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ... ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: 69]

فتبدأ عملية الحساب بوضع الكتاب:

- ﴿... وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ... ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: 69]

ثم مجيء النبيين والشهداء:

- ﴿... وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: 69]

فتوفى كل نفس ما عملت:

- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: 70]

وما أن ينتهي الحساب حتى يساق الذين كفروا إلى النار زمرا:

- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: 71-72]

ويساق الذين آمنوا إلى الجنة زمرا:

- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: 73]

وانظر إن شئت في السياق كله:

- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: 68-74]

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن إذا بأن فتح يأجوج ومأجوج سيكون عندما يجعل الله ذلك الردم الذي جعله ذو القرنين دكا (فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء)، وسيحدث ذلك مع التجلي الإلهي عندما يزول الغمام، لذا فإننا نظن مفترين القول من عند أنفسنا بأن فتح يأجوج ومأجوج هي آخر علامات الساعة حصولا:

- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ * وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: 96-99]

والله أعلم

فاللّه وحده نسأل أن يهدينا رشدنا وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعل فضله وحده علينا عظيما. وأعوذ به أن نفتري عليه الكذب أو أن نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو السميع العليم - آمين.

المدّكرون: رشيد الجراح & عصام درويش & علي محمود سالم الشرمان
بقلم: د. رشيد الجراح
7 أيلول 2014